ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

موقف المرابطين من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ/١١١١م



إسماعيل بن عبد المجيد بن عبد الله
أستاذ مؤقت بقسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية
جامعة تلمسان - الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

حاول هذا البحث إلقاء الضوء على الدور العلمي الذي قام به المرابطون –أمراء وعلماء– في سبيل تحقيق وحدة المغرب الإسلامي. فتوصّل إلى حقيقة مهمة وهي أن المرابطين أرادوا الحفاظ على امتداد عقيدة السلف منذ أن وطأت أقدامها أرض المغرب الإسلامي بسبب جهود الفاتحين الأوائل من الصحابة والتابعين. كما حافظ عليها أتباع الإمام مالك وأصحابه ومن جاء بعدهم من علماء المغرب بِعُدْوَتيه. فالتزم المرابطون بما كان عليه الإمام مالك عقيدةً وفقهًا وسلوكًا، وتشكّل لديهم اتجاه فكري موحّد، ومسار ثقافي لا يقبل التعدّد. هذا التوحيد أدى في النهاية إلى توحيد سياسي بحيث صار هوية لمجتمع المغرب الإسلامي في تلك الحقبة التاريخية. كما بيّن البحث موقف كل من الفقهاء والسلطة المرابطية من التيارات الفكرية المعارضة السائدة آنذاك من خلال عرض أنموذج؛ عن الأفكار التي رآها المرابطون دخيلة على منهجهم في فهم الدين الإسلامي؛ وهو كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي "رحمه الله"، فواجهوا تلك الاتجاهات الفكرية وتصدّوا لها، تارة بالمعارضة ومرّة بالانتقاد وأخرى بالإحراق. وبالمقابل، برز اتجاهٌ مساند ومؤيد لمضامين كتاب الإحياء، عُرف بالغزّالية، فكانت هذه الطائفة من جملة أسباب تحامل كثير من المصادر الموحدية على المرابطين، وذلك بحكم الاختلاف في مشرب الاتجاه الفكري، مما فتح أيضًا فيما بعدُ باب الطعن لعدد كبير من الباحثين المُحْدَثين خاصة المستشرقين ومن نحا نحوهم ضد المرابطين. وقد عرض البحث أسباب إحراق كتاب الإحياء من خلال المصادر، المراجع وآراء الباحثين، وناقش تلك الأسباب معللاً كل ذلك ومُبَرهِنًا أنّ المرابطين إنما لجئوا لعملية إحراق كتاب الإحياء، التزامًا بما كان عليه أسلافهم من التوجه الديني، وحفاظًا على وحدة الأمة المرابطية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٧ أبريل ٢٠١٨
تاريخ قبول النشر: ٠٢ يوليو ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:

حرق الكتب، علم المكاشفة، المرابطون، المغرب والأندلس، الفقه والفقهاء

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0055406

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

إسماعيل بن عبد المجيد بن عبد الله. "موقف المرابطين من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ/١١١١م".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الرابع والأربعون؛ يونيو ٢٠١٩. ص ١٢٣ – ١٤٣.

مُقَدِّمَةُ

أُدخل كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي[١] إلى المغرب والأندلس في حياة مؤلفه، زمن حكم علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي[٢]. ويعتبر القاضي أبو بكر بن العربي[٣] -وهو أحد تلاميذ الغزالي- من أول الجالبين لكتاب الإحياء إلى المغرب عند عودته من رحلته المشرقية عام ٤٩٥هـ[٤]، والتي وسمها بـ"ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"، حيث قال فيها: "وكان أشهر من لقينا من العلماء في الآفاق، ومن سارت بذكره الرفاق لطول باعه في العلم، ورَحب ذراعه، الإمام أبو حامد بن محمد الطوسي الغزالي، فاستدعينا منه فتيا وكتابًا اختصرت لفظ الفُتْيَا لوقتٍ ضاق عن تقييدها"[٥]. ومنذ أن ظهر هذا الكتاب، وإلى الآن، تباينت تجاهه

الآراء، فذمّه قوم حتى أفتوا بحرقه ومنعه. ورفعه آخرون إلى درجة كبيرة من المدح، فقيل إن الرسول (ﷺ) قرأه ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال إنه لشيء حسن[٦]، وزاد بعضهم فقال: "كاد الإحياء أن يكون قرآنا"[٧]، وقيل أيضًا: "لو محيت جميع العلوم لاستُخرجت من الإحياء[٨]"، وإلى الآن لا يزال مثل مغربي متداول يبين اهتمام بعض الناس بالمغرب وحرصهم على اقتناء الإحياء، فيقول المثل: "بع اللحية واشر الإحيا"[٩]. فإلى أي شيء كان يرمي المرابطون بتتبعهم وحرقهم لكتاب الإحياء؟

إن الرؤية لمحتوى الإحياء اختلفت خلال العصر المرابطي إلى اتجاهين اثنين إن لم نقل إلى اتجاهات متباينة. والذي استقر في أذهان الكثير من المنتسبين للتأريخ أن الموقف السلبي للمرابطين تجاه كتاب الإحياء كان نابعا عن مصالح سياسية رعايةً لجهات معينة كان يدعمُها حرق الكتاب، لما فيه من المساس بشخصيتهم الفقهية والحد من نفوذهم. لذلك ارتأيت أنه من المفيد أن نستعرض أولا موقف الغزالي من الفقه وفقهاء المرابطين من خلال الإحياء قبل التطرق إلى موقف المرابطين من الكتاب.

أولاً: موقف الغزالي من علم الفقه والمرابطين

١/١-موقف الغزالي من علم الفقه والفقهاء

ذكر الغزالي في أول كتابه أن العلم قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة، والمقصود من هذا الكتاب (يقصد الإحياء) علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة والتي لا رخصة في إيداعها الكتب لأن علم المكاشفة لم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علمًا منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال[١٠]. وبيّن أن علم المكاشفة "هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله[١١]... وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة"[١٢]. بينما يجعل فنّ الفقه من علم المعاملة[١٣]، وبيّن المسائل التي يتكلم فيها الفقيه قائلاً: "فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة: الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام، فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها، علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة، وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر".[١٤]

إذن علم الفقه عنده من علوم الدنيا، والمكاشفة من علوم الآخرة، وهو يفصل الفقه عن علم الآخرة، ليكون تعبيرًا عن الظاهر والشريعة، ويبقى التصوف تعبيرًا عن الباطن والحقيقة، لأنه في عُرف الصوفية - والغزالي منهم -هو حقيقة الدين. وأبرز الغزالي أن التكلم في أحوال القلوب وأمور الآخرة ليس من اختصاص الفقيه، فقال:" وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه ... وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجًا عن فنه"[١٥].

وبناءً على ذلك فهو يعتبر مرتبة الفقيه أقل من مرتبة المتصوف، ويرى أن علم الفقيه لا يبلغ مرتبة علم المتصوف من حيث التجرد وإدراك الحقيقة وذلك لسببين: الأول أن الغاية الأخروية مختلطة بالغاية الدنيوية للفقه، والسبب الثاني ارتباطه النفعي بالسلطان، ومعنى هذا أن الفقيه يتاجر بعمله، وينشغل بعلم الظاهر عن علم الباطن. وما يؤكد ذلك أنه أشار إلى فضل علماء المكاشفة والباطن على علماء المعاملة والظاهر، فقال: "وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب، كان الإمام الشافعي[١٦] رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي[١٧] كما يقعد الصبي في المكتب، ويسأله: "كيف يفعل في كذا وكذا"، فيقال له "مثلك يسأل هذا البدوي". فيقول: "إن هذا وُفق لما أغفلناه"[١٨]. وقال: "كان أحمد بن حنبل[١٩] رضي الله عنه ويحيى بن معين[٢٠] يختلفان إلى معروف الكرخي[٢١]، ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه"[٢٢].

وقال الغزالي محفزًا على الاشتغال بالكشف: "فإن كنت مريدا للآخرة وطالبًا للنجاة وهاربًا من الهلاك الأبدي، فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها.... فلا تشتغل بفروض الكفاية، لاسيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها، فإن مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه، وهمت بقتله، وهو يطلب مذبة يرفع بها الذباب عن غيره ممَنْ لا يغنيه، ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به[٢٣]". وقال عن علم الخلاف في الفقه، والجدل في الكلام، والفتاوى في الخصومات والأحكام، أنها ليست من علوم الآخرة، ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله

فأبى العلم أن يكون إلا لله[٢٤]. وقال في علم الباطن بأن إفشاء سر الربوبية كفر[٢٥]. وأضاف بأن أدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا"[٢٦].

والقارئ للإحياء يجد هذا التفريق كثيرًا بين أسطره، فهو يسمي الفقه بأسماء مختلفة: علم المعاملة، علم الظاهر، علم الفقه الدنيوي، علم الدنيا، العلم الجلي. ويسمي التصوف: علم المكاشفة، علم الباطن، وعلم القلوب، علم الآخرة، العلم الخفي. وهذا التفريق بينهما في الحقيقة ما هو إلا لأن علم الفقه عند الغزالي لا يوصل إلى أصل النجاة لأنه علم دنيوي، على عكس التصوف فإنه قال فيه: "علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، و أخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[٢٧].

ثم بدأ بالتعريض بعلم الفقه وتنقُّص الفقهاء وأنهم لا يعتنون بعلم الباطن أو المكاشفة، فأورد عن أبي حنيفة النعمان[٢٨] وصاحبه أبي يوسف[٢٩] أنهما كانا يتحايلان على الشرع لمنع الزكاة: "فحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول، و يستوهب مالها إسقاطاً للزكاة فحكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه، (وقال الغزالي معقبًا): وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار"[٣٠]. وقال:" فإن تكلم (يعني الفقيه) في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة، فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفّل، كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام، وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر[٣١]..... فكيف يُظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون"[٣٢].

لقد بلغ تذمر الغزالي من الفقه لدرجة جعلته يعتبره نوعًا من السياسة والأحكام السلطانية، فقال: "فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات، فكان الفقيه معلّم السلطان ومرشده إلى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا.... وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة"[٣٣]. ويحصر الغزالي تعريفه للفقهاء والعلماء بأنهم المعرضون عن الحكام وليس الفئة الطالبة لهم من أولئك" الذين أكبّوا على علم الفتاوى، وعرضوا أنفسهم على الولاة... وطلبوا الولايات والصلات منهم[٣٤]. بل إن ابن عربي الحاتمي الطائي الصوفي نقل عن الغزالي قوله عن الفقه أنه سبب من أسباب عدم الالتحاق بدرجة الأولياء، وإدراك مرتبة العارفين، لأنه يفسد النفس ويعيقها عن تلقي المعارف الإلهية الحقيقية[٣٥].

أما عن فقهاء عصره فحَملتُه كانت شديدة عليهم، مُلخصًا أن الفقهاء لم يأخذوا من الأئمة المتبوعين الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وغيرهم إلا خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه"[٣٦]، فوصف فقهاء عصره أنهم: "قد تصرفوا في الفقه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل، إذا خصّصوه لمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى، والوقوف على دقائق عللها، واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقا فيها، وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه"[٣٧]. وقال: "إني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات"[٣٨]. وقال عنهم كذلك: "ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلاً أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها"[٣٩].

وأورد عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص. وقال عمر رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محبًا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب. وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه[٤٠]. كما أن الغزالي أفرد الباب السادس من كتابه إحياء علوم الدين لعلماء السوء[٤١]. ولست بصدد استقصاء وتتبع كل ما قاله وقرره الغزالي عن الفقه والفقهاء، لأنه أولاً خارج عن موضوع البحث بطريق مباشر، وثانيًا تكفينا فقط إشارات

من كلامه، حتى نتبين في موضع لاحق ماذا كان موقف المرابطين من الكتاب؟ إذن كنتيجة أولية يمكن استخلاصها أن الغزالي يرى أن الفقه من علوم الدنيا التي هي آلة لعلوم الآخرة، وأنه علم لا يبحث في الأعمال إلا من حيث صورها وأشكالها، فهو أشبه بالطب وإن كان أفضل منه، وعليه فقد صار الفقيه وفقا لتصور الغزالي لا تعلق له بالآخرة إلا من حيث شروط صورة العمل.

٢/١-موقف الغزالي من المرابطين

إن العلاقات الأُولى التي ربطت الغزالي مع سلطة المرابطين، هي علاقته مع الأمير يوسف بن تاشفين التي كانت جيدة، اتّسمت بالودّ والحُسن، وكانت نتيجة للرسائل المتبادلة والسفارة المشكّلة من الوفد المرابطي وعلى رأسه ابن العربي الأب وابنه محمد القاضي اللذين رحلا إلى المشرق قصد الحصول على تقليد من الخليفة العباسي أبي العباس أحمد المستظهر بالله ليوسف بن تاشفين لكي يقوم بأمره[٤٢]، وكذلك استصدار فتوى من الغزالي وغيره من العلماء حول موقف الأمير يوسف من أمراء الطوائف والحق في قتالهم وضم الأندلس تحت سيادة الدولة المرابطية بسبب تفرق كلمة أمراء الطوائف وامتداد أيدي النصارى إلى أهل الإسلام في المنطقة[٤٣]. وقيل في هذه الفترة من حياة الغزالي أنه رأى في يوسف بن تاشفين الإمام الأمثل الذي طالما تمنى أن يراه، كما رأى في دولته الجديدة مدينته الفاضلة. ورُوي أنه أراد أن يذهب بنفسه إلى المغرب لملاقاته، ويرى ما كان عليه المرابطون من عدل، لكن ورد أنه ما كاد يبلغ الإسكندرية حتى علم بوفاة يوسف فعاد من حيث أتى[٤٤].

لكن الذي يظهر أن هذا الأمر مستبعد لأسباب:

- لم يُشر الغزالي لرحلته إلى مصر في شيء من كتبه[٤٥].
- لا يُعقل أن يتوجه الغزالي إلى مصر وفيها العبيديون الذين هاجمهم الغزالي هجومًا عنيفًا في مؤلفه "فضائح الباطنية".
- لو سلمنا جدلاً بأن ذلك قد حصل، فلا يمكن أن يكون ذلك سنة (٤٩٨هـ/ ١١٠٤م)، لأن موت ابن تاشفين كانت سنة (٥٠٠ هـ/١١٠٦م)، فكيف يكون نبأ موته قد بلغ الغزالي قبل سنتين من حصوله.[٤٦]
- إن جميع الروايات تؤكد أنه في هذه السنة أي ٥٠٠هـ كان الغزالي في خراسان، وعلى وجه التحديد في نيسابور للتدريس في نظاميتها، فلا يمكن إذن أن يكون الغزالي دخل مصر وبلغ الإسكندرية[٤٧].
- إن إثبات دخوله مصر والإسكندرية وقصده الركوب إلى بلاد المغرب يخالف ما رواه في كتابه المنقذ من الضلال، فهو لم يذكر سوى إقامته ببيت المقدس ودمشق، ثم حج ورجع إلى بلاده.
- ويقال أيضًا كيف قصد سلطان المغرب، وهو من ملاقاة السلاطين قد هرب، فقد كان له في بغداد الجاه الواسع، والمقام الرفيع، فترك كل ذلك متعللاً بالإعراض عن الدنيا وإيثار الخلوة وأداء مناسك الحج[٤٨].

ثم بعد ذلك توترت هذه العلاقة مع تسلّم علي بن يوسف مقاليد الحكم بعد أن بويع بإمارة المسلمين عام ٥٠٠هـ على إثر وفاة والده، فأصدر أمرًا بحرق كتاب إحياء علوم الدين[٤٩]، ويقال إن الغزالي بلغه خبر الإحراق، فتغير وجهه، ورفع يديه بالدعاء على دولة المرابطين بأن يمزق ملكها كما مزقت كتاب الإحياء، وأن يذهب دولتهم كما حرّقوه[٥٠]. وقيل إن محمد بن تومرت[٥١] حضر هذا الدعاء في مجلس الغزالي[٥٢]، وقال للغزالي: "أدع الله أن يجعل ذلك على يدي"[٥٣]. وبقيت الأمور سائرة على نفس الوتيرة على عهد تاشفين بن علي، ففي رسالته الموجهة إلى أهل بلنسية، وكانت من تدبيج الفقهاء، قال فيها: "ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة، وخاصة -وفقكم الله -كتب أبي حامد الغزالي، فليتتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها"[٥٤].

ثانيًا: موقف فقهاء المرابطين من الإحياء

إذا تتبعنا مواقف الفقهاء من كتاب الإحياء، نرى ونتبين أن إشكالية الإحياء قسمتهم على حسب بعض الباحثين إلى ثلاثة مجموعات، مجموعة تبنّت التحذير والإحراق، ومجموعة اكتفت بالتحذير دون الإحراق. أما المجموعة الثالثة فقد ساندت ما احتوى عليه الكتاب وأيدته. لكن الذي يظهر لي من خلال ما أسعفتنا به المصادر أن هذه المجموعة الثانية هي نفس المجموعة الأولى، فاتفقتا على الرد والمعارضة للإحياء مع زيادة واحدة منهما على الأخرى بإحراق الكتاب، وعليه ارتأيت تقسيمًا ثنائيًا، موقف سلبي معارض وموقف إيجابي مساند.

١/٢-الموقف المعارض للإحياء

كان المعارضون للإحياء الأكثر عددًا والأقوى نفوذًا[٥٥]. وما أن وقع كتاب الإحياء بيد الفقهاء في حواضر المغرب كقرطبة، ومراكش، وفاس... فقرأوه وتصفحوه؛ حتى ثارت ثائرتهم، وتنادوا لرفع الأمر لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وكان لا يخرج عن رأي الفقهاء في الأحكام، وسياسة الدولة، فاجتمعوا به وأخبروه بوجوب حرق الكتاب وإعدامه، وأفتوه بأنه: لا تجوز قراءته بحال[٥٦]. ولكي نأخذ صورة حية عن مواقفهم المناهضة لهذا الكتاب، نورد نماذج عن بعضهم:

(١/٢) ١-ابن حمدين القرطبي[٥٧]

أول مَنْ عُرف بذلك القاضي ابن حمدين القرطبي الذي كتب ردًا على الإحياء[٥٨]، قال فيه: "إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه، ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية، والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره، ومضاليل أساطيره المباينة للدين؟! وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية الذي لا يسفر عن قناعه، ولا يفوز باطلاعه إلا من تمطى إليه ثبج ضلالته التي رفع لهم أعلامها، وشرع أحكامها[٥٩]. قال أبو حامد: وأدنى النصيب هذا العلم التصديق به، وأقل عقوبته أن لا يرزق المنكر منه شيئًا، فاعرض قوله على قوله، ولا يشتغل بقراءة قرآن، ولا بكتب حديث، لأن ذلك يقطعه عن الوصول إلى إدخال رأسه في كم جبته، والتدثر بكسائه، فيسمع نداء الحق، فهو يقول: ذروا ما كان السلف عليه، وبادروا ما أمركم به، ثم إن هذا القاضي أقذع، وسب، وكفر، وأسرف، نعوذ بالله من الهوى".[٦٠]

لقد كان هذا القاضي حامل مشعل الفتوى المطالبة بالإحراق بإجماع فقهاء قرطبة[٦١]، بل بالغ صاحب الحلل الموشية فيما ينقل عن ابن القطان[٦٢]، أن ابن حمدين كفّر جميع من قرأه، وعمل به[٦٣].

(١/٢) ٢-أبو بكر الطرطوشي[٦٤]

يعتبر أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي أصالة من فقهاء المرابطين وإن رحل نحو المشرق وتوفي في الإسكندرية. وقد كانت معارضته شديدة على أبي حامد في كتاب الإحياء خصوصًا، حيث قال فيه:" وهو لعمر الله أشبه بإماتة علوم الدين..."[٦٥]. وكتب هذا الفقيه المرابطي رسالة، جوابًا عن سائل سأله من الأندلس عن حقيقة أمر مؤلف الإحياء، فكتب إلى عبد الله بن مظفر: "سلام عليك؛ فإني رأيت أبا حامد وكلّمته، فوجدته امرءًا وافر الفهم والعقل، وممارسة العلوم، وكان ذلك معظم زمانه، ثم خالف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوَّف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم سابها، وجعل يطعن على الفقهاء بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل ينتحي عن الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين...فلما عمل كتابه الإحياء، عمد فتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أمِّ رأسه، فلا في علماء المسلمين قرَّ، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله (ﷺ)، فلا أعلم كتابًا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبًا على الرسول منه، ثم شبَّكه بمذاهب الفلاسفة ورموز الحلاج، ومعاني رسائل إخوان الصفا... ثم يسوق الكلام سوقا، يرعد فيه ويبرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة وما وراءه من علم المكاشفة لا يجوز تسطيره في الكتب، ويقول: هذا من سر الصدر الذين نهينا عن إفشائه. وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدخل في الدين يستقل الموجود ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره؛ لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده، فما أقرب تضليله. وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب؛ فلعمري إذا انتشر بين من لا معرفة له بسمومه القاتلة، خيف عليهم أن يعتقدوا إذًا صحة ما فيه؛ فكان تحريقه في معنى ما حرَّقته الصحابة من صحف المصاحف التي تخالف المصحف العثماني"[٦٦].

وقال: "وقد دخل على السّالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرجل الطّوسي، فإنه تشبّه بالصّوفية ولم يلحق بمذاهبهم، وخلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غلط الناس فيها"[٦٧]. وقد ذكر بعض الباحثين أن أبا بكر الطرطوشي قصد الشام خصيصًا لملاقاة الغزالي ومناظرته، وتكلم عن هذا اللقاء أيضًا أحمد بن يحي الضبي، فقال: "وكان له غرض في الاجتماع مع أبي حامد الغزالي بجعل طريقه على بيت المقدس، فلما تحقق أبو حامد أنه يؤمه حاد عنه، ووصل الحافظ أبو بكر فلم يجده فقصد جبل لبنان..."[٦٨]. وحكي أنه اجتمع به في بلاد الشام، وقصد مناظرته، فقال له أبو حامد: "هذا شيء تركناه لصبية العراق يعني ترك المغالبة بالعلم والمفاخرة فيه"[٦٩].

(٢/١) ٣-أبو بكر بن العربي[٧٠]

ومن الذين اعترضوا على الإحياء القاضي أبو بكر بن العربي، تلميذ الغزالي، حيث وجه انتقادات لاذعة لما تضمنه الإحياء من انحرافات، حيث قال: "قد كان أبو حامد تاجًا في مهمة الليالي، وعقدًا في لبة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج على الحقيقة، وحاد في أكثر أحواله عن الطريقة، وجاء بألفاظ لا تطاق، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق، فكان علماء بغداد يقولون: لقد أصابت الإسلام فيه عين، فإذا ذكروه جعلوه في حيز العدم، وقرعوا عليه السن من ندم، وقاموا في التأسف عليه على قدم، فإذا لقيته رأيت رجلاً قد علا في نفسه، ابن وقته، لا يبالي بغده ولا أمسه، فواحسرتي عليه أي شخص أفسد من ذاته، وأي علم خلط وخلط فيه مفرداته، ماذا ألام من المحامد، وكم حايد عنه وحامد"[٧١]. وقال: "فأنا أجادله بالحسنى حين عجزت عن عقوبة الدنيا، وأقول: يعلم الله وتشهد كتبي ومسائلي وكلامي مع الفرق، بأني جدّ بصير بأغراض القوم ومقاصدهم، فإن معلمي (يقصد الغزالي) كان فحلاً من فحولهم وعظيمًا من عظمائهم، وتالله إني كنت محتشمًا له غير راض عنه، وقد رددت عليه فيما أمكن، واحتشمت جانبه فيما تيسّر"[٧٢].

ومن الأمور التي انتقدها عليه قوله: "ليس في قدرة الله أبدع مما كان"، معتبرًا إياها من قول الفلاسفة، فقال في شرح الأسماء الحسنى: "قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيمًا انتقده عليه العلماء، فقال: وليس في قدرة الله أبدع من هذا العالم في الإتقان والحكمة، ولو كان في القدرة أبدع أو أحكم منه ولم يفعله، لكان ذلك منه قضاءً للجود[٧٣]، وذلك محال. ثم قال (القائل ابن العربي): والجواب أنه باعد في اعتقاد عموم القدرة ونفي النهاية عن تقدير المقدورات المتعلقة بها، ولكن في تفاصيل هذا العالم المخلوق، لا في سواه. وهذا رأي فلسفي قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق ونسبت الإتقان إلى الحياة مثلاً، والوجود إلى السمع والبصر، حتى لا يبقى في القلوب سبيل إلى الصواب، وأجمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد، وقالت عن بكرة أبيها: إن المقدورات لا نهاية لها لكل مقدر الوجود، لا لكل حاصل الوجود، إذ القدرة صالحة، ثم قال: وهذه وهلة لا لعا لها، ومزلة لا تماسك فيها، ونحن وإن كنا نقطة من بحره فإنا لا نرد عليه إلا بقوله"[٧٤]. بل إنه رد عليه في حياته أثناء تتلمذه عليه كما قال: "فاوضت يومًا الطوسي في ذكر تآليفه، فأعرض عن بعضها، ثم نظرت في كتاب "المعيار" فأعجبني فاستحسنته، وجئت إليه وعلى كمي كراسة منه، فقال لي: ما معك؟ فاستحييت ودفعته إليه فقرأه مليًا، وأنا أسارقه النظر وأرفض عرقًا، ثم رفع رأسه إليَّ وقال لي: كتاب حسن، ولكن لا تغتر بمخالفتنا فيه"[٧٥]. وقال عنه أيضًا:" شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع"[٧٦].

(٢/١) ٤-القاضي عياض[٧٧]

وكان القاضي عياض من بين الذين طالبوا بإحراق كتب الغزالي على حد قول ابن العماد الحنبلي[٧٨]، وحذر من الإحياء، بل ومن مصنفه أيضًا، حتى قال: "والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصرة مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تآليف مشهورة، أُخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسرّه، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها، والبعد عنها، فامتثل ذلك"[٧٩].

(٢/١) ٥-محمد بن خلف الألبيري[٨٠]

وممَنْ رد على الغزالي أبو عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الألبيري، في كتابه النكت والأمالي في الرد على الغزالي[٨١]. وهنا يأتي سؤال يفرض نفسه: ما سبب عدم وجود في عصرنا الحاضر ما سطره أولئك الفقهاء في الرد على الغزالي ومن نحا نهجه؟ ولم أظفر بجواب سوى ما قيل أن الأمير عبد القادر الجزائري[٨٢] قد سعى أثناء إقامته بدمشق بجمع كل كتب الردود على المتصوفة بالشراء والهبة، وطالعها كلها ثم أحرقها بالنار[٨٣].

٢/٢-الموقف المساند للإحياء

هذه المجموعة مثّلها من سماهم ابن القطان بالغزالية[٨٤] وهم المدافعون عن فكر الغزالي خاصةً في الإحياء. ومنهم:

(٢/٢) ١-ابن النحـوي[٨٥]

من بين الفقهاء الذين كان موقفهم إيجابيًا تجاه الغزالي، سلبيًا نحو المعترضين على الإحياء أبو الفضل ابن النحوي، الذي انتصر للغزالي وكتب رسالة إلى أمير المسلمين في ذلك[٨٦]، يعرّفه بالشيخ الغزالي وبعلو مقامه[٨٧]، فكان بذلك أكثر الفقهاء جرأة في التعبير عن موقف الاستنكار الذي عمّ صوفية العدوتين[٨٨]. ومن أقواله في الإحياء: "وددت أني لم أنظر في عمري سوى كتاب الإحياء"[٨٩]. وتحدث أحد تلامذته عن

الإحياء وما قوبل به في فاس، وعن معارضة عالمها أبي الفضل ابن النحوي لمصادرة الكتاب وإعدامه؛ فقال: "لما وصل إلى فاس كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بالتحريج على كتاب الإحياء، وأن يحلف الناس بالأيمان المغلظة إن كتاب الإحياء ليس عندهم، ذهبتُ إلى أبي الفضل أستفتيه في تلك الأيمان؛ فأفتاني بأنها لا تلزم. وكانت إلى جنبه أسفار؛ فقال لي: هذه الأسفار من كتاب الإحياء، وددت أني لم أنظر في عمري سواها. وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الإحياء في ثلاثين جزءًا؛ فإذا دخل شهر رمضان؛ قرأ في كل يوم جزءًا"[٩٠].

كما أنه استفتي من طرف فقهاء تلمسان حول قضية إحراق الإحياء، ففضل الإحجام عن مناقشة الاعتراضات التي أثيرت حول الإحياء، واكتفى بطمأنة المستفتين بصواب أبي حامد وفضله، والتأكيد على خطأ المنكرين عليه وقصورهم في فهم مقاصد الكتاب[٩١]. ويذهب بعض الباحثين إل أن الرسالة التي وجهها هؤلاء الفقهاء لم يكن هدفهم منها معرفيا صرفا يجيب عن حيرة أمام مشاكل الإحياء، بقدر ما كان استنكارًا لما حل بهذا الكتاب في بعض بلاد المغرب، واستنصارًا بفقهاء آخرين لمقاومة التيار الجارف المضاد للتصوف في الغرب الإسلامي[٩٢].

(٢/٢) ٢-أبو الحسن علي ابن حرزهم[٩٣]

يحكي علي ابن حرزهم أنه قد اعتكف على قراءة الإحياء لمدة عام، فجرد المسائل التي انتقدت عليه، وعزم على حرق الكتاب. فلما نام رأى أنه ضُرب ثمانين سوطًا حد الفرية على كتاب الغزالي. فتاب حسب زعمه إلى الله مما انتقد به الإحياء، ثم تأمل تلك المسائل فوجدها موافقة للكتاب والسنة[٩٤]. وفي سياق آخر، أن أبا الحسن بن حرزهم كان قد بالغ في الإنكار على كتاب الإحياء، وكان مطاعًا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الإحياء، وهمّ بإحراقها في الجامع يوم الجمعة، فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي (ﷺ) فيه، مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والغزالي قائم بين يدي النبي وبيده الإحياء، فلما أقبل ابن حرزهم، قال الغزالي: "هذا خصمي يا رسول الله، انظر فيه فإن كان بدعة مخالفًا لسنتك كما زعم تبت إلى الله تعالى، وإن كان شيئًا تستحسنه، حصل من بركتك، فأنصفني من خصمي". ثم ناوله النبي (ﷺ)، فنظر فيه ورقة، ورقة، فأثنى عليه وقال: "والله إن هذا لشيء حسن". ثم أبو بكر وعمر ففعلا ذلك. فأمر به النبي (ﷺ)، فجُرد من الثياب (يعني أبو الحسن بن حرزهم) وضُرب حد المفتري، ثم بعد خمسة أسواط شفع فيه الصدّيق... فقام ابن حرزهم من النوم وأثر السياط في جسده وأعلم أصحابه، وتاب إلى الله واستغفر من الإنكار على الإحياء، وصار يعظم الإحياء ويبجله[٩٥].

(٢/٢) ٣-أبو محمد عبد الله المليجي[٩٦]

كان هذا الرجل الصوفي يسأل عن الذين أفتوا بإحراق الإحياء. فكان كلما سُميّ له واحد منهم دعا عليه، ثم قال: "والله لا أفلح هؤلاء الأشقياء"، فما انقضى شهر حتى مات جميع أولئك الفقهاء[٩٧].

(٢/٢) ٤-أبو الحسين البرجي علي بن محمد بن عبد الله الجذامي[٩٨]

استفتي أبو الحسين البرجي في إحراق ابن حمدين كتب أبي حامد الغزالي، فأفتى بتأديب محرقها وتضمينه قيمتها[٩٩]، لأنها مال مسلم، وقيل له: "أتكتب بما قلته خط يدك". قال: "سبحان الله كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"، ثم كتب السؤال في النازلة وكتب فتياه بعقبه.[١٠٠]

(٢/٢) ٥-ابن قسي[١٠١]

هو زعيم المريدين بغرب الأندلس، ومن الذين عُرفوا بنفوذهم على المنطقة. اتخذ من مؤلفات الغزالي وخاصة إحياء علوم الدين واجهة إيديولوجية وورقة سياسية كان يلعب بها ضد خصومه المرابطين، يقول ابن الأبار في هذا الصدد: "وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر، وهو يستجلب أهل هذا الشأن محرضا على الفتنة وداعيًا إلى الثورة في الباطن، وقد استغل ابن قسي مسألة فتوى الفقهاء المرابطين بإحراق كتب الغزالي، فادعى أنه المهدي، وتسمى بالإمام"[١٠٢]، حيث كان ينظم لأتباعه دروسًا يشرح فيها أفكار الغزالي ويدافع عنها، ثم يرتب مع خاصة أتباعه الثورة على المرابطين. اتسمت جماعة المريدين هذه، التي يتزعمها ابن قسي، بكونها طائفة دينية أو فرقة صوفية، في الظاهر، وأداة سياسية في الباطن، استخدمها في تحقيق مطامعه للوصول إلى الحكم. وفعلاً، قاد ابن قسي مريديه مدة طويلة في الثورة، سواء ضد المرابطين، أو ضد الموحدين وقد بقيت هذه الحركة قائمة حتى قتله عبد الله بن سليمان زمن الموحدين، والتي انتهت معها حركة المريدين بالأندلس[١٠٣].

وما يمكن استخلاصه مما سبق أن الدفاع عن الإحياء من قبل هؤلاء المتصوفة كان غالبًا دفاعًا عاطفيًا يستعين بالدعاء على الفقهاء، والأحلام، والرؤى،

والحكايات، كمنام أبي الحسن المعروف بابن حرزهم المذكور أعلاه، في حين كانت معارضة الفقهاء تستخدم النقد والموضوعية.

ثالثًا: موقف السلطة

استطاع القاضي ابن حمدين وغيره من الفقهاء إقناع علي بن يوسف بضرورة التخلص من نسخ الإحياء وحرقها، خاصةً وأن هذا الفقيه كان جد مقرّب ومحبّب للمرابطين، وبلغ عندهم منزلة عظيمة، بحيث ذكر ابن القطان أنه عند وفاته "حزن الناس عليه، وكان محببًا لهم وللملثّمين (يعني المرابطين)، وكان قد حاز في المكانة لديهم مالم يحزه غيره ممن سلف، وكان جميل الطريقة ساعيًا في كل خير، قطع الضرائب والمعاون على أهل قرطبة، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة، لأن ابن تاشفين كان لا يخالفه في شيء"[١٠٤]. إذن اقتنعت السلطة المرابطية بفتاوى الفقهاء، فأمر علي بن يوسف بإحراق الكتاب، فأُحرق أولا في قرطبة[١٠٥]، حيث جُمعت نسخُه ووُضعت على الباب الغربي من جامع قرطبة، وأُشبعت زيتًا كي يسهُلَ حرقُها بحضور علماء قرطبة وأعيانها[١٠٦]، ثم أحرق في كافة بلاد المغرب وبلاد الأندلس[١٠٧].

يقول ابن القطان في هذا الشأن: "في أول عام ثلاثة وخمسمائة عزم علي بن يوسف -عن إجماع قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها - على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بالإحياء، فأُحرق في رحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته بجلوده بعد إشباعه زيتًا. وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمرًا بإحراقه حيثما وجد، وأخذت منه نسخ من أيدي أصحابها كان مُعوَّل الغزالية عليها، منها كتاب ميمون بن ياسين[١٠٨] توعَّده علي بن يوسف على إحضاره، فأحضره له. وفقد الكتاب المذكور، ومنها كتاب ابن العربي حمله مع نفسه إلى الجزيرة الخضراء، ثم أمر بحلِّه في الماء، فَحَلَّ معظمه، وفقد سائره، وتوالى الإحراق على ما اشتري منه ببلاد المغرب بقية ذلك العام"[١٠٩].

ثم صدرت الأوامر السلطانية بمنع دخول جميع كتب الغزالي للمغرب والأندلس، وإنزال أشد العقوبات بمن وجد عنده شيء منها، وذلك حسب شهادة عبد الواحد المراكشي، والتي يُفهم من سياقها أيضًا أن الإحراق عمَّ جل كتب الغزالي وليس فقط كتاب الإحياء: "ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي -رحمه الله -المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها، وتقدم بالوعيد الشديد، من سفك الدم واستئصال المال، إلى من وجد عنده شيء منها. واشتد الأمر في ذلك"[١١٠]. ومع أن المراكشي يتحدث عن إحراق كتب الغزالي بصيغة الجمع، إلا أن الثابت أن كتاب الإحياء هو الذي أُحرق فقط[١١١].

وفي السياق نفسه، نُدرج أيضًا ما جاء في ثنايا رسالة ابنه بعده الأمير تاشفين بن علي[١١٢]، حيث أصدر أمرَه إلى جميع الأقاليم بمصادرة الكتاب وإحراقه، وأمر بتفتيش المكتبات وبعث منشورًا جاء فيه: "ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة، وخاصة -وفقكم الله -كتب أبي حامد الغزالي، فليتتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها"[١١٣]. والذي يتبين من خلال هذه النصوص أن الموقف الرسمي كان يساند ويعاضد إحراق كتاب الإحياء.

رابعًا: أسباب إحراق كتاب الإحياء

بعد كل هذا العرض يأتي السؤال الذي يفرض نفسه، وهو كيف تسنى للمرابطين أن يعمدوا إلى إحراق كتاب الإحياء؟ أو ماهي الأسباب الحقيقية لإحراق الإحياء؟

هناك اختلافات بين المصادر والدراسات المعاصرة حول أسباب ودوافع إحراق كتاب الغزالي، يمكن إرجاعها عموما إما إلى مخالفة العقيدة الإسلامية الصحيحة في بعض المسائل، أو التعلّق بما حواه "الإحياء" من علم الكلام والأحاديث الضعيفة والموضوعة بالإضافة إلى بعده الصوفي وغير ذلك. أو هناك أهداف سياسية ومبررات اجتماعية على ما بينا آنفا، تمثلت فيما تضمنه إحياء الغزالي من أفكار إصلاحية قد تمس مصالح جهة معينة، أو تحدث خلخلة في البنيان الاجتماعي والسياسي للمرابطين[١١٤].

٤/١-في المصادر

نستخلص من كلام ابن القطان السالف الذكر في نظم الجمان؛ وهو أقدم مصدر تاريخي تكلم عن حادثة إحراق الإحياء؛ أن عليًا بن يوسف هو الذي أمر بحرق الإحياء مع عدم ذكر المبرر أو سبب الإحراق، وسلك ابن عذاري نفس المسلك[١١٥]، لكن صاحب الحلل الموشية يقول بأن الفقهاء "تكلموا فيه وأنكروا فيه أشياء"[١١٦]، دون أن يحدد أو يوضح طبيعة هذه الأشياء.

وعلى المستوى الديني، يشير المؤرخ عبد الواحد المراكشي إلى أن السبب يرجع ربما إلى تقبيح الفقهاء لعلم الكلام، وذلك بقوله: "... ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم الفروع - أعني فروع مذهب مالك - فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها ... ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء

من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال العقائد ... حتى استحكم في نفسه (أي عليا ابن يوسف) بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي- رحمه الله - المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها".[١١٧]

أما ابن الأحمر فيذهب إلى أن سبب إحراق الإحياء ومعارضة الفقهاء له، لما تضمنه من الأحاديث الموضوعة، حيث يقول: "... وزعم بعضهم أن سبب انقراض دولة لمتونة هو دعوة أبي حامد الغزالي عليهم، وذلك أنه لما ألف كتابه المسمى الإحياء وجه به إلى جامع قرطبة، فلما وصلها تكلم فيه فقهاء قرطبة لما فيه من الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها، وقالوا هذا الكتاب يضر بالمسلمين، الصواب إحراقه. فاتفق علماء قرطبة على إحراقه، فأحرقوه بقرطبة، وأما قاضيها ابن حمدين فقال بكفر مؤلفه، ثم كتب علماء قرطبة إلى علي بن يوسف يأمرونه بأن يأمر بإحراقه في جميع بلاد الأندلس والمغرب، فلما بلغه كتاب علماء قرطبة واتفاقهم على إحراق كتاب الإحياء للغزالي أمر بحرقه فحُرق في كافة بلاد المغرب وبلاد الأندلس".[١١٨]

٢/٤-في المراجع

أشرنا سابقًا إلى وجود اختلاف في الدراسات حول حقيقة الأسباب والدوافع الكامنة وراء إحراق الإحياء، وإن كانت المصادر -كما أسلفنا -قد حصرت هذه الأسباب في مخالفة العقيدة الإسلامية أو خوض الكتاب في علم الكلام واشتماله على أحاديث باطلة وضعيفة، فإن أصحاب المراجع والدراسات المعاصرة قد توسعوا أكثر في إيراد أسباب الإحراق. ويمكن إجمالها في العناصر التالية:

(٢/٤) ١-أسباب سياسية:

تمثلت في تحذير الإحياء من اتخاذ الفقه والعلم مطية لنيل حطام الدنيا، فكان الكتاب بمثابة دفاع عن الرعية في وجه الفقهاء الذين استبدوا بالمناصب والنفوذ واقتسموا الأموال باستغلالهم للوظائف الدينية[١١٩]، وربما وعى الفقهاء خطورة أفكار الإحياء وآرائه الإصلاحية، والتي قد تهدّد مصالحهم، بل ربما تهدد النظام المرابطي برمته،[١٢٠] فكان أن عارضوه بشدة خوفا على امتيازاتهم[١٢١]، في الوقت الذي لقي فيه ترحابًا من طرف العامة[١٢٢]. وسنلخص كلام الباحثين لهذه الأسباب السياسية في نقاط:

- موقف الفقهاء من تحريم الغزالي لغشيان أبواب السلاطين والدخول عليهم[١٢٣]. وقبول وأخذ أعطيات السلاطين[١٢٤].
- موقف الفقهاء من تحريم الغزالي لجميع أنواع الضرائب غير الشرعية على المسلمين[١٢٥]. حيث وقع الخلط من طرف المرابطين بين الموارد الشرعية والموارد غير الشرعية، في مسألة تحصيل الزكوات وجباية الضرائب من المسلمين[١٢٦].
- الطعن والتجريح في الفقهاء[١٢٧]، الذين كانوا انتهازيين لتملك الدنيا وكثرت لذلك أموالهم[١٢٨].

(٢/٤) ٢-أسباب عقائدية:

تتجلى في الانحرافات العقدية والبدع المخالفة لتعاليم الإسلام[١٢٩] مثل الخزعبلات والشطحات الصوفية، فضلاً عنما يحويه الكتاب من فلسفة وعلم الكلام المؤديان للمضرة بعقائد عوام الأمة، مع أن سياسة المرابطين كانت ترمي إلى توحيد العقيدة:

- والسبب الذي حملهم على ذلك الإحراق أنهم كانوا على السنّة، وعلى طريقة الإمام مالك في الأصول والفروع، فلما وصلهم الإحياء قرأوا فيه آراء المتكلمين، وفلسفتهم عن الإلهيات والنبوات، من مذاهب الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، فرأوها تأويلاً مخرجًا لنصوص القرآن ونصوص الحديث عن معانيها، معطلاً لما جاء فيها[١٣٠].
- حفظ وحدة المغرب الدينية، فما أمر به هؤلاء العلماء ممَنْ أفتى بإحراق الإحياء[١٣١]، اعتقاداً منهم أنه يحوي المضرة على عقائد عوام الأمة، فأرادوا حماية عقول العامة من الفساد العقدي[١٣٢]. وكان ذلك من قبيل الديانة لا العصبية والهوى[١٣٣].
- احتواء الإحياء على أصول بدع التصوف وغيرها[١٣٤]. وحشو الكتاب بمواد فاسدة من آراء المتكلمين والفلسفة ومذاهب الصوفية الفلسفية[١٣٥]. حيث تبنّى الكتاب فلسفةَ الكشف[١٣٦] والإشراق الصوفي[١٣٧]. وهذا الكشف الصوفي يُعرض عليه حتى القرآن والسنة فما وافق الكشف قُبل وما خالفه رُفض[١٣٨].
- إن غالب العقل الشرقي قبل فكر الغزالي، فلأن المسلمين هناك كانوا فرقاً متعددة غزتهم كثير من التيارات الدخيلة فمزقت وحدتهم الدينية

والسياسية حتى أصبحوا فريسة للصليبيين، أما المغاربة فحافظوا على وحدة مذهبهم الديني في ظل وحدة سياسية متينة[١٣٩].

- مخالفات أخرى مثل: تفضيل سماع الغناء على سماع القرآن[١٤٠]. وأن طلب علم الحديث هو من الركون إلى الدنيا[١٤١]. واعتبار أن مرتبة الفقيه أقل من مرتبة المتصوف[١٤٢].

(٢/٤) ٣-أسباب فقهية:

- حرب فقهية مالكية من المرابطين على فقهاء الشافعية[١٤٣].
- اعتبار الغزالي من أهل الرأي[١٤٤].
- استشهاده بما في الكتب السابقة المحرفة كالإنجيل مثلا[١٤٥]، والتي يصعب معرفة صحيحها من سقيمها، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنها لا تصدق ولا تكذب.
- موقف الفقهاء من تحريم الغزالي من استعمال الكافر[١٤٦].
- عكوف فقهاء المرابطين على الفروع دون الأصول[١٤٧].
- إهمال باب الجهاد في الإحياء[١٤٨].

(٢/٤) ٤-أسباب حديثية:

تضمن الكتاب أحاديث موضوعة[١٤٩]، فيها الكذب على رسول الله[١٥٠]، وهذا راجع لعدم معرفة الغزالي بعلم الحديث[١٥١]. وقد أخبر الغزالي بذلك عن نفسه حيث قال: "وبضاعتي في الحديث مزجاة"[١٥٢]، وقد أحصى بعض الباحثين ٤٢٥٢ حديثًا ما بين ضعيف وموضوع، معتمدًا فقط في ذلك على تخريج أبي الفضل العراقي ومرتضى الزبيدي والسبكي[١٥٣]. ومن خلال استنطاق كتاب الإحياء، وإيراد أقوال العلماء المذكورة آنفا، وكذلك جمع ما أمكن جمعه من المصادر وكلام الباحثين والدارسين حول الأسباب المشار إليها أعلاه، يحسُن بنا أن ندلي برأي في القضية، فنقول أولاً:

لقد كالت الحملة الموحدية عدداً من التهم للمرابطين تدل على تحامل وحقد، وارتكز بعض الباحثين عليها ممَنْ جاء بعدهم خاصة المستشرقين[١٥٤]. ومن المعلوم أن دولة المرابطين قد اتسعت لكثير من ضروب المعرفة، فلماذا ضاقت ذرعًا بكتاب الإحياء وحده دون غيره من أنواع المعرفة الأخرى؟ حتما لأن تلك المعارف على تشعّبها لم تكن تشكل أي خطر على الاتجاه العام للدعوة المرابطية، بل هي معارف تقبّلها الناس وينبغي تعلمها ومعرفتها، على عكس ما سطره الغزالي في كتابه الإحياء بحيث انتُقدت عليه مسائل كثيرة رآها منتقدوه مخالفة لصميم الدين[١٥٥].

ولا تَعْدُ هذه التهم أن تكون ثلاثة قضايا:

- **الأولى**: دعاوى باطلة مثل التجسيم[١٥٦] لأن المرابطين كانوا يثبتون صفات رب العالمين دون تشبيه أو تكييف، وكذلك تهمة الحجر الفكري التي تلقّفها المستشرقون عن الموحدين. وفيما يبدو أن هدف الفقهاء كان نبيلاً وهو محاولةٌ لضمان عقائد الرعية من الانحرافات، وحفظ هذه العقيدة التي كان عليها أئمة المالكية من الزيغ (لا إسلام إلا إسلام السلف كما حافظ عليه مالك وأصحابه). وإذا كان إحراق الإحياء يُعدُّ تزمتًا وتعصبًا، فماذا يكون إحراق كتب المالكية من طرف الموحدين كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، حتى كان يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار[١٥٧]، مع أن الموحدين لم يوصفوا بما وُصف به المرابطون، بل وُصف عهدهم بالازدهار الفكري والنهضة العلمية.

على أنه يقال إن حادثة إحراق الإحياء اتخذت أكثر من حجمها، وندّد بها العديد من المؤلفين رغم أنها مسألة عادية ألِفها الأندلسيون من قبل ومن بعد[١٥٨]. بل وُجدت أمثالها في العالم الإسلامي منذ عصر النبوة، فإن عمر بن الخطاب أتى النبي (ﷺ) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي (ﷺ) فغضب، وقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى (عليه السلام) كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني"[١٥٩]، وفيه أن عمر بن الخطاب ألقى بالكتاب في التنّور[١٦٠] لما غضب الرسول(ﷺ)[١٦١].

وقد حرّق كذلك الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأمة من الاختلاف[١٦٢]. وقد أفتى العلماء بوجوب حرق كتب البدعة قياسا على ما فعله عثمان، فكان المنصور ابن أبي عامر في الأندلس[١٦٣] قبل عهد المرابطين قد قام بإحراق جميع الكتب الخاصة بالفلسفة واعتبروها خطرًا يهدد عقيدتهم. وظل بغضهم للفلسفة شديدًا حتى عهد المرابطين بالمغرب[١٦٤]، وقد نقل الشوكاني عن جماعة

من أهل العلم؛ منهم البلقيني، وابن حجر، وابن عرفة، وابن خلدون قولهم: "حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس؛ مثل "الفصوص"، و "الفتوحات" لابن عربي، و"البدّ" لابن سبعين، و"خلع النعلين" لابن قسي، و"على اليقين" لابن برخان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني وأمثالها أن يلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض؛ فالحكم في هذه الكتب كلها، وأمثالها إذهاب أعيانها متى وُجدت بالحريق بالنار والغسل بالماء"[١٦٥].

- **الثانية**: القصص المختلقة كدعوة الغزالي على المرابطين بزوال ملكهم وكان ذلك بحضور ابن تومرت فزال بذلك ملكهم، وقد بينا سابقًا عدم ثبوت القصة ولقاء الغزالي مع ابن تومرت.

- **الثالثة**: قضايا أخرى لا تخرج عن كونها من مسائل الفقه الإسلامي مما هو مختلف فيه بين أصحاب المذاهب. كتهمة كشف وجه المرأة المرابطية وتشبهها بالرجال[١٦٦]، وفرض الضرائب عند الضرورة.

فالمرابطون كانوا على مذهب مالك في الفتوى، والذي عليه العمل في المذهب أن المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها[١٦٧]، ولم يقل أحد من المسلمين أن سفور المرأة تشبه بالرجال سوى ابن تومرت[١٦٨]. أما قضية سنّ الضرائب، فقد اضطر العمال المرابطون إلى اتخاذها في ظروف صعبة ينضب معها بيت المال، كالظروف الحربية في الجهاد وغيره، حيث لم يجدوا بدّا من اللجوء إلى سن بعض الضرائب الإضافية[١٦٩]، لتغطية العجز المذكور. ولعل هذا الأمر -في رأيي-هو من باب الضرورات التي تبيح المحظورات (إذا ما اتخذ في ظروف استثنائية)؛ ولكنه لا يعني في كل الأحوال تساهلا من المرابطين في أمور الدين أو تليينا للمواقف كما حاول أن يوهمنا بذلك جورج مارسيه[١٧٠].

أما جعْلُ سبب الإحراق هو اعتناء الفقهاء بالفروع دون الأصول، أو الحرب المذهبية المالكية على الشافعية وغيرها من المذاهب الأخرى، فهي مجرد دعاوى عارية عن الدليل، فمصادر تراجم الفقهاء وأهل العلم في الفترة المدروسة تأبى ذلك، بل هي تنضح برعاية هؤلاء الفقهاء بالقرآن والحديث النبوي، ويكفي في ذلك الرجوع لكتب التراجم. كما لا يوجد فيما أسعفتنا به المصادر معلومات أو حتى إشارات إلى هذه الحرب المذكورة أعلاه من طرف المرابطين.

نعم، لقد التزم المرابطون في الفتوى بمذهب الإمام مالك كما كان عليه المغاربة والأندلسيون قبل وجود المرابطين، ولم يأت هؤلاء بدين جديد، وإنما واصلوا فيما وجدوا عليه المغاربة من قبل، بل يُقال في استحالة هذا السبب؛ ألم يكن متصوفة المغرب الإسلامي الذين عارضوا إحراق الإحياء على مذهب مالك، هل كانوا شافعية؛ كما كان الغزالي؛ حتى يساندوا مضامين الإحياء؟

من التهم كذلك التي رُمي بها المرابطون، مسألة استعمال الكافر من طرف المسلم[١٧١]، وهذه أيضًا من المسائل الفقهية الخلافية، فقد ثبت أن الرسول (ﷺ) استأجرَ في الهجرةِ رَجُلاً مشركًا، يُقال له: عبدُ الله بن أُريقط ليدلَّه على الطريق مِن مكَّة إلى المدينة[١٧٢]، فدلّ ذلك على جواز استعمال الكافر في بعض أعمال المسلمين بشروطٍ محلُ بسطِها في الكتب الفقهية، فهل يُقال في جناب رسول الإسلام أن هذا تجاهلٌ كما قيل في حق المرابطين؟

لقد امتازت الدولة المرابطية عما قبلها بالوحدة الدينية و السياسية و إعلاء الجهاد ضد النصارى، فكان الدعم من الغزالي بفتواه على عهد يوسف بن تاشفين، بَيْد أن هذه الروح التي كان عليها الغزالي في هذا الوقت تغيرت فيما بعد بتغيره وتقلّبه بسبب أزمته النفسية[١٧٣] وتقلبه بين مذاهب الفرق الإسلامية الأربعة التي مر بها في أطوار حياته[١٧٤]، وألف كتابه الإحياء في مرحلة تصوفه حاثّا على العزلة والخلوة والتصوف[١٧٥]، فما كان للمرابطين أن يقبلوا هذه الروح الانهزامية[١٧٦] في وقت يتنافى مع ما كانت تتطلبه المرحلة التي يجتازها العالم الإسلامي آنذاك من تجنّد ورباط وجهاد ضد الحملات الصليبية، فمن الانتقادات التي وُجهت له سلبيته تجاه الأحداث الكبيرة والكوارث العظيمة التي مرت بالمسلمين في زمانه مثل احتلال الصليبيين لعدد من بلاد الإسلام ولاسيما بيت المقدس، فقد كان الغزو الصليبي لأنطاكية سنة ٤٩١هـ، ودخولهم القدس سنة ٤٩٥هـ، ووصلت الأخبار بذلك إلى بغداد، وكان الغزالي - في الأغلب - هناك وقتئذ، ولم يُبْدِ حِراكًا، ولم يحرض على قتالهم مع أن القدس بقيت تحت وطأتهم لمدة أحد عشر عامًا[١٧٧]. و بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره، في إعداد الخطب وتحبير الرسائل، لحث أهل أوروبا على امتلاك أقطار المسلمين، كان الغزالي غارقًا في خلوته، منكبًا على أوراقه، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة والجهاد[١٧٨]. وقد بين أحد الباحثين أن سكوت الغزالي كان لسببين؛

المعاناة من مرضه النفسي، وكذلك موقف المتصوفة السكوتي من الحرب الصليبية. هذا الموقف الذي شاركهم فيه الغزالي لاعتقادهم أن هذه الحرب عقوبة من الله على المسلمين بسبب الذنوب والمعاصي[١٧٩].

إن الفقهاء عارضوا الإحياء لما احتوى عليه من مخالفات شرعية لا غير، بدليل أن ما في داخل الإحياء هو الذي يفسر فتواهم، فمن خلال الاطلاع على مضامين الكتاب، تتبين بعض الأقوال والآراء التي أقل ما يقال عنها أنه يصعُب تقبُّلها من طرف الإنسان العاقل فضلاً عن الباحث المؤرخ مهما كان تأويلها. من ذلك مثلاً ما رواه الغزالي أن "أبا تراب التخشبي كان معجبًا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه، والمريد مشغولٌ بعبادته ومواجدته، فقال له أبو تراب يومًا: "لو رأيت أبا يزيد؟"، فقال: "إني عنه مشغول"، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد، هاج وجد المريد فقال: "ويحك ما أصنع بأبي يزيد، قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد"، قال أبو تراب: "فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت: "ويلك تغتر بالله عز وجل، لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة!"[١٨٠]. وسأكتفي بهذا المثال، فلسنا بصدد تعداد وتتبّع ما في الكتاب من مخالفات وأحاديث باطلة، لخروجه أولاً عن مجال بحثنا، وثانيًا لو استقصينا كل ما عورض به الكتاب لطال حجم الدراسة.

على أنه يقال إن انتقادات علماء المشرق وافقت انتقادات علماء المغرب[١٨١]، وقد مر معنا آنفًا نقل ابن العربي عن علماء بغداد أنهم كانوا يقولون: "لقد أصابت الإسلام فيه عين (يعني الغزالي)، فإذا ذكروه جعلوه في حيز العدم، وقرعوا عليه السن من ندم، وقاموا في التأسف عليه على قدم"[١٨٢]، ولم تقتصر معارضة الإحياء من بعض فقهاء المغرب الإسلامي فقط، بل عمت العالم الإسلامي كله واستمرت على مر العصور[١٨٣]. وحقيقةً، لم يُعلم في شيء من المصادر المتاحة أن الإحياء أُحرق وقتِّئ بالمشرق وإنما انتُقد فقط، وذلك في نظري كان راجعًا إلى أن غالب حكام دول المشرق لم يكونوا على عقيدة المرابطين السلفية الموحدة، بل كانوا يتبنّون كثيرا من الآراء الصوفية الغزالية أو الأشعرية أو غير ذلك بسبب الفرقة المذهبية القائمة آنذاك، كنظام المُلك الوزير السلجوقي الصوفي الأشعري[١٨٤]، فكيف يُعارَض الإحياء أو يُحرق وهو يحمل أفكارهم ومعتقداتهم. ويقابل ذلك أن هؤلاء الناقدون المشارقة لم تكن لهم مكانة رسمية في دولهم حتى يقوموا بإحراق الكتاب، ولا يخفى أن عمليةً كهذه -أقصدُ الإحراق -هي في ظني من صلاحيات الحاكم لا العالم، فالفقيه يُفتي والحاكم إما أن يطبق أو يرفض.

وإذا كان هؤلاء الفقهاء المشار إليهم هذا حالُهم -أقصد لم تكن لهم دول بالمشرق ولا الحظوة عند السلاطين كما كان الحال في المغرب-ومع ذلك عارضوا وانتقدوا الإحياء، فهل يُفهم أيضًا أنهم فقهاء سلاطين، وعلماء رسوم، وأنهم كانوا انتهازيين لتملك الدنيا، وأن الإحياء هدد مصالحهم فعارضوه كما هدد مصالح فقهاء المغرب، وغير ذلك من التهم المُلصقة بفقهاء المغرب التي لا تثبت أمام النقد التاريخي، بدعوى أنهم كثرت أموالهم وقوي نفوذهم. بل إن الغزالي "رحمه الله" عندما مات ترك دارًا حسنة وبستانًا أنيقًا[١٨٥]، فهل يُتهَم هو الآخر أنه انتهازي، وأنه تملّك الدنيا، أفلم يُهدّد الإحياء مصالحه هو الآخر!؟

لقد شكك بعض الباحثين -كما أشرنا آنفًا -في أن سبب إحراق الإحياء كان بسبب بعده الصوفي بالأساس، بدعوى أن المرابطين أنفسهم نحوا منحى تصوفيًا، فيوسف كان متقشّفا في مأكله ومشربه، زاهدًا في الدنيا، لباسه الصوف لم يلبس قط غيره[١٨٦]. وكان ابنه من الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يُعد من الملوك والمتغلبين[١٨٧]. بل إنه كتب كتابًا لأحد المتصوفة يلتمس منه الدعاء[١٨٨]. ووُصف ابنه تاشفين بن علي بأنه كان يسلك طريق ناموس الشريعة ويميل إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين[١٨٩]. وكان القاضي ابن العربي له نسخة من كتاب الإحياء قبل الأمر بإحراقه[١٩٠]. كما أن القاضي عياض تمنى لو اختُصر الكتاب[١٩١].

ونرى أن هذه الاستدلالات لا إشكال فيها:

أولاً: لأن مبنى خطأ الباحثين فيها، هو عدم التفريق بين تصوف بعض المرابطين وبين تصوف الغزالية، فتصوف فقهاء وأمراء المرابطين كان من قبيل التصوف البسيط الذي يقابل الزهد والورع، أما تصوف الغزالي ومن تبعه فهو تصوف فلسفي إشراقي. ومن بين الأدلة على ذلك أن يوسف بن الزيات التادلي[١٩٢] صاحب كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" لم يترجم للقاضي عياض في هذا الكتاب المذكور، مع أن زهد وورع هذا الأخير انتشر في الآفاق، وهذا دليلٌ آخر على تحامل الموحدين على المرابطين.

ثانيًا: أن القاضيان ابن العربي وعياض وغيرهما من فقهاء المرابطين، كان لهم عِلمٌ يفرّقون به بين الحق والباطل الموجودين في الإحياء، فيمكن لهم قراءة هذا الكتاب مع طرح المخالفات والانحرافات، وأخذ ما يمكن أخذه، وقد بيّنا سابقًا أن الإحياء قد أُحرق خوفًا من مضرته على عوام الرعيّة، لا على العلماء. ومن المعلوم أيضًا أنه ليس كل ما جاء في الإحياء فهو مذموم، وحسبنا دليلاً على ذلك ما قاله القاضي عياض لما تمنّى أن يُختصر الكتاب: "لو اختُصر هذا الكتاب، واقتُصر على ما فيه من خالص العلم لكان كتابا مفيدا"[١٩٣].

وقبيل فراغي من هذا البحث، وقعت بين يدي مذكرة ماجستير بعنوان أثر كتاب الإحياء للإمام الغزالي في مجتمع الغرب الإسلامي، حكم فيها الباحث على طريقة تصدي المرابطين في الرد على المخالف - ويقصد بها كتاب الإحياء -أنها من منهج العوام، وفيها ابتعاد عن المنهج العلمي الذي يعتمد الحجة والبرهان وأضاف بأن ذلك حتمًا منهج خاطئ[١٩٤]. لكن هذا الحكم يعارض بعدة أمور:

- إن عملية الإحراق هي شبيهة اليوم بعملية مصادرة كتاب تراه الدولة مضرًا بمصالحها، وقد منع الاتحاد السوفياتي سابقًا عددًا من الكتب أن تدخل بلاده، ونرى في كثير من الدول أن الكتاب الفلاني ممنوع، وفي السبعينيات من القرن الماضي طلعت الصحف تحمل نبأ إحراق أعداد هائلة من الكتب الاشتراكية في ساحات عمومية بالأرجنتين[١٩٥].

- إن مصادرة كتب التيارات المعارضة كانت وما تزال وستبقى، ودليل ذلك هو الرقابة الموجودة اليوم في معظم دول العالم حول ما يكتب ويطبع وينشر في إطار ما يسمى محاربة الإرهاب، والجزائر -البلد الذي ينتمي إليه صاحب الحكم الذي نناقشه – واحدة من هذه الدول التي منعت الكثير من عناوين الكتب أن تدخل باسم المحافظة على المرجعية الوطنية ومحاربة المذاهب الدخيلة.

- إن الغزالي روجع في مسائل من كتابه الإحياء بالحجة والبرهان، لكنه انتهج حملة شديدة على منتقديه في كتابه "الإملاء في إشكالات الإحياء"، ولم يقبل الانتقادات التي وُجهت إليه بل وصل به الحد إلى رمي ناقديه بالغباوة والحسد والكذب[١٩٦].

خَاتِمَةٌ

نستنتج مما سبق:

- أن الغزالي يفضل علم المكاشفة على علم المعاملة، وجعل مرتبة الفقيه أقل من مرتبة المتصوف.
- تحامل المصادر الموحدية على المرابطين وذلك بحكم الاختلاف في الاتجاه الفكري والمسار الثقافي، واعتماد الطعن الموجه من بعض الباحثين المحدثين خاصةً المستشرقين ومَنْ تبعهم؛ ضد المرابطين؛ بناءً على الانتماء للمدارس التاريخية المختلفة وبالتالي اختلاف النظرة التاريخية وتباين البناء والتركيب التاريخي للأحداث والوقائع التاريخية وكذلك الحكم عليها من خلال المعطيات الموحدية والميولات الدينية أو المذهبية.
- من خلال الجمع والطرح التاريخي للمعطيات، يتبين أن كتاب الإحياء لم يكن كتابًا سياسيًا، ولم يحمل في طياته معطيات سياسية لفئة ما، بل حتى إنه أغفل باب جهاد النصارى المشركين في تلك الفترة العصيبة. كما لم يثبت في شيء من المصادر التاريخية أن المرابطين كان لهم تعسف في استخدام الفقه والسلطة ضد أي مذهب فقهي آخر، فلا يمكن بحال أن يكون سبب الإحراق فقهيًا.
- تتضح الوحدة الدينية للمرابطين في محافظتهم على العقيدة السنية وفقه الإمام مالك، مقابل مواجهة كل ما يخدش في هذه العقيدة السنية كالفلسفة، وعلم الكلام، والتصوف الفلسفي.
- أحرق المرابطون الإحياء لسببين عقدي وحديثي، خوفًا على رعية عوام المسلمين من الانحرافات العقدية التي كان يحملها الكتاب في طياته، والبدع المخالفة لتعاليم الإسلام، والمواد الفاسدة في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف، مع ما اشتمل عليه الإحياء من الأحاديث الباطلة وما تتركه هذه الأخيرة من أثر سيئ في رعية المسلمين.

الهَوامِشُ:

(١) محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، لازم طلب العلم حتى صار أنظر أهل زمانه وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف، وبعد وفاة الإمام حضر مجلس نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلاً عظيماً فولاه نظامية بغداد فدرس بها مدة ثم تركها وحج ورجع إلى دمشق وأقام بها عشر سنين وصنف فيها كتبًا، يقال إن الإحياء منها ثم سار إلى القدس والإسكندرية ثم عاد إلى وطنه بطوس مقبلاً على التصنيف والعبادة ونشر العلم ودرس بنظامية نيسابور مدة ثم تركها وبنى خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين وأقبل على النظر في الأحاديث خصوصا البخاري وقد ذكر له السبكي في الطبقات الكبرى ترجمة طويلة في أربع كراريس وأنشد قول القائل ماذا يقول الواصفون في وصفه، وصفاته جلت عن الحصر، توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة. ابن قاضي شهبة أبو بكر بن أحمد، **طبقات الشافعية**، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أبو الحسن (٤٧٧ - ٥٣٧ هـ = ١٠٨٤ - ١١٤٣ م) أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين. ولد بسبتة. وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠ هـ بعهد منه، بمراكش. وفي أيامه ظهر محمد بن عبد الله الملقب بالمهديّ (ابن تومرت) فعجز عليّ عن دفع فتنته، واضطربت أموره، فمات غما في مراكش. ولم يشهر خبر موته إلا بعد ثلاثة أشهر منه. ومدة خلافته ٣٦ سنة و٧ أشهر. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، لبنان، ط ١٥، ٢٠٠٢، ج ٥، ص ٣٣.

(٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ أحد الأعلام، ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة ورحل مع أبيه إلى المشرق ودخل الشام فتفقه بأبي بكر الطرطوشي ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين ودخل بغداد فسمع بها من طراد الزينبي ونصر بن البطر وجماعة وأخذ الأصلين عن أبي بكر الشاشي و الغزالي والأدب عن أبي زكريا التبريزي وحج ورجع إلى مصر والإسكندرية فسمع بهما من جماعة وعاد إلى بلده بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق وكان من أهل التفنن في العلوم و الاستبحار فيها والجمع لها، مقدما في المعارف كلها، أحد من بلغ رتبة الاجتهاد وأحد من انفرد بالأندلس بعلو الإسناد، ثاقب الذهن ملازما لنشر العلم صارما في أحكامه هيوبا على الظلمة صنف التفسير و أحكام القرآن و شرح الموطأ و شرح الترمذي وغير ذلك وولي القضاء ببلده مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات المفسرين**، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، ط ١، ١٣٩٦ هـ، ص ٩٠.

(٤) محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٩، ص ١٩٢.

(٥) ابن العربي أبو بكر القاضي، **رسائل ابن العربي**، ضمن كتاب لعصمت دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٩٥.

(٦) عبد القادر العيدروس، **تعريف الأحياء بفضائل الإحياء**، مطبوع بهامش الإحياء، تح: بدوي طبانة، مكتبة كرياطه فوترا، إندونيسيا، د ت، ج١، ص ١١.

(٧) نفسه، ص ١٧.

(٨) نفسه.

(٩) محمد المنتصر الكتاني، **الغزالي والمغرب**، ضمن كتاب **مهرجان الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده بدمشق**، رقم ٣٢، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص ٧١٠. ابن العربي أبو بكر القاضي، **قانون التأويل**، تح: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، قسم الدراسة، ص٥٤.

(١٠) الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، لبنان، د ت، ج١، ص ٣- ٤ وص ١٤.

(١١) نفسه، ج١، ص ١٩.

(١٢) نفسه، ج١، ص ١٩-٢٠.

(١٣) نفسه، ج١، ص ١٨.

(١٤) نفسه.

(١٥) نفسه.

(١٦) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ/٧٦٧ - ٨٢٠ م)، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب الأم في الفقه في سبع مجلدات، ومن كتبه المسند في الحديث، والرسالة في أصول الفقه. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٦.

(١٧) شيبان الراعي من عباد أهل مرو، يروي عن سفيان الثوري، روى عنه أهل بلده، وكان من الأمّارين بالمعروف، وسكّة شيبان بمرو تعرف به، وهو صاحب حكايات عجيبة مروية، وكان ابن المبارك لا يميل إليه لميله إلى مذهب الرأي. ابن حبان محمد بن أحمد أبو حاتم البستي، **الثقات**، تح: شرف الدين أحمد، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٦، ص ٤٤٨.

(١٨) ما ذكره الغزالي هنا من الحكاية عن جلوس الشافعي بين يدي شيبان الراعي -الذي كان أمّيا لا يعرف القراءة ولا الكتابة -حتى قال عنه ابن حبان كما أسلفنا: "وهو صاحب حكايات عجيبة مروية، وكان ابن المبارك لا يميل إليه لميله إلى الرأي". فهي حكاية غير ثابتة نقلها الغزالي عن أبي طالب المكي دون سند، بل قال ابن تيمية: "وكذلك اتفق

أهل المعرفة على أن الشافعي وأحمد لم يلقيا شيبان الراعي بل ولا أدركاه". ابن تيمية أحمد، **مجموع الفتاوى**، ج١١، ص ٥٨١. ينظر مشهور حسن، **قصص لا تثبت**، دار الصميعي، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٨، ص ٢٤٩-٢٦١.

(١٩) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله ١٦٤-٢٤١هـ/ ٧٨٠-٨٥٥م فقيه ومحدِّث، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة. اشتُهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، وكان معروفًا بالأخلاق الحسنة كالصبر والتواضع والتسامح، وقد أثنى عليه كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: «خرجتُ من بغداد وما خلّفتُ بها أحدًا أورع ولا أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل»، ويُعدُّ كتابه" المسند "من أشهر كتب الحديث وأوسعها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج١، ص ٢٠٣.

(٢٠) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام أبو زكريا. وقيل: اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفاني ثم المري، مولاهم البغدادي (١٥٨ -٢٣٣هـ/ ٧٧٥ - ٨٤٨م) الإمام الحافظ، إمام الجرح والتعديل، أحد كبار علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة. خير الدين الزركلي، نفس المرجع، ج٨، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ (..- ٢٠٠ هـ/..-٨١٥ م): أحد أعلام الزهاد والمتصوفين. ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد. خير الدين الزركلي، نفس المرجع، ج٧، ص ٢٦٩.

(٢٢) الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء**...، المصدر السابق، ج١، ص ٢١.

(٢٣) نفسه، ج١، ص ٣٩.

(٢٤) نفسه، ج١، ص ٥١.

(٢٥) نفسه، ج١، ص ١٠٠.

(٢٦) نفسه، ج١، ص ٥.

(٢٧) الغزالي محمد أبو حامد، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال**، تح: جميل صليبًا وكامل عياد، دار الأندلس، بيروت، ط٧، ١٩٦٧، ص ١٠٦.

(٢٨) النعمان بن ثابت، أبو حنيفة التيمي بالولاء، الكوفي (٨٠ - ١٥٠هـ/٦٩٩ -٧٦٧م)، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. توفي ببغداد وأخباره كثيرة. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٨، ص ٣٦.

(٢٩) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (١١٣ -١٨٢هـ/٧٣١ -٧٩٨م) أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيهًا علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه "الرأي" وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي "قاضي القضاة" ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. خير الدين الزركلي، نفس المرجع، ج٨، ص ١٩٣.

(٣٠) الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء** ...، المصدر السابق، ج١، ص ١٨.

(٣١) نفسه، ج١، ص ١٩.

(٣٢) نفسه، ج١، ص ١٩.

(٣٣) نفسه، ج١، ص ١٧.

(٣٤) نفسه، ج١، ص ٤٢.

(٣٥) ابن عربي محمد بن علي، **الفتوحات المكية**، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٤، ص ٤١٠-٤١١.

(٣٦) الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء** ...، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤.

(٣٧) نفسه، ج١، ص ٣٢.

(٣٨) نفسه، ج١، ص ٤.

(٣٩) نفسه، ج١، ص ٢١.

(٤٠) نفسه، ج ١، ص ٦٠-٦١.

(٤١) نفسه، ج ١، ص ٥٨-٨٢.

(٤٢) ابن العربي أبو بكر القاضي، **رسائل** ...، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٤٣) نفسه، ص ١٩٥ وص ٢٠٠-٢٠٤.

(٤٤) ابن خلكان أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، د ت، ج٤، ص ٢١٧.

(٤٥) الغزالي محمد أبو حامد، **الوجيز في فقه الإمام الشافعي**، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الأرقم بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، مقدمة المحققين، ص ١٩.

(٤٦) عليان عبد الفتاح الجالودي، **إضاءات على سيرة محمد بن محمد الطوسي الإمام الغزالي الشخصية في ضوء المصادر التاريخية**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، ج٢، العدد١، ص ٨٦.

(٤٧) عبد الرحمن بدوي، **مؤلفات الغزالي**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٧، ص٢٣.

(٤٨) اليافعي اليمني عبد الله بن أسعد، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص ١١١ وص ١٣٦.

(٤٩) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٩٩٠، ص ٧٠.

(٥٠) نفسه، ص ٧٣.

(٥١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت (٤٨٥ -٥٢٤ هـ/١٠٩٢ - ١١٣٠م) البربري، المصمودي، المتلقب بالمهدي فقيه، أديب، أصولي، زاهد. ولد ونشأ في قبيلته هرغة من المصامدة من قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى، ورحل

إلى المشرق طالبا للعلم. لقي عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، فاتفق معه على الدعوة إليه، ثم قوي أمر ابن تومرت، وعاجلته الوفاة في آخر سنة ٥٢٤ هـ في جبل تينملل. من آثاره: عقيدة لقبها بالمرشدة، وأعز ما يطلب. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٥٢) اختلف المؤرخون حول لقاء ابن تومرت للغزالي على ثلاثة أقوال:

- منهم من أثبته كابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص٧٣. وصاحب **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١٠٤-١٠٥.
- منهم من أشار إليه مع شيء من التحفظ مثل عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، د ت، ص٢٤٥-٢٤٦. وابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص٣٠٢.
- ومنهم من أنكر اللقاء مثل ابن الأثير الجزري علي بن محمد، **الكامل في التاريخ**، تح: محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٩، ص١٩٠ وغيره. والذي يظهر لي من خلال جمع المعلومات أن هذا اللقاء غير ثابت، وإنما هي مجرد قصة مفتعلة للأسباب التالية:

أولاً: لو ثبتت لكان فيها أكبر الطعن على الغزالي الذي يدعو في مؤلفاته الأخلاقية إلى التسامح وحسن الصفح والعفو، ولأصبحت علامة على أن الرجل يبطن ما لا يظهر وأن فعله يناقض قوله.

ثانيًا: أن ابن القطان المراكشي وابن صاحب الصلاة فيما ينقل عنه صاحب الحلل الموشية قد تفردًا بسوق هذه القصة عن الرجل المسن المجهول، وكل من جاء بعدهما ينقلها عنهما من نظم الجمان أو الحلل الموشية. وابن القطان هذا متهم في إيرادها، لأنه متحامل جدًا على المرابطين حيث يرميهم بأقذع الأوصاف، بسبب اختلاف المشرب والاتجاه الفكري، ولأنه إنما ألف كتابه (نظم الجمان) لتعظيم دولة الموحدين، ومدحهم والثناء عليهم، وإبراز مآثرهم، فلا يبعد أن يكون قد لفق أو تلقف هذه القصة تشفيًا من دولة المرابطين. وغالب الكتب التي ألفت بعد سقوط المرابطين كانت تعمل لصالح الموحدين، وأصبح كثير من الباحثين يعتمدون عليها كمصادر من دون تمحيص.

ثالثًا: إن ابن تومرت لم يلتق بالغزالي البتة، وذلك أن ابن تومرت خرج لطلب العلم من المغرب سنة ٥٠١هـ وعلى أقل تقدير في أواخر سنة ٥٠٠ هـ ورحل منها إلى الأندلس، ومنها إلى الإسكندرية، ومنها إلى الحج، ومنه إلى بغداد، وهنا تورد القصة أنه التقاه في بغداد، فكيف يمكن أن يقابله في بغداد والغزالي خرج منها سنة ٤٨٨هـ، أو في دمشق وهو خرج منها سنة ٤٩٠هـ أو في بيت المقدس والغالب أنه تركها سنة ٤٩٢هـ لاستيلاء الصليبيين عليها.

رابعًا: أن قضية إحراق كتاب الإحياء كانت في أوائل سنة ٥٠٣هـ، وعلى أقل تقدير في أواخر سنة ٥٠٢هـ، ويومها كان الغزالي في بلده (طوس) وابن تومرت لا يعرف عنه أنه تجاوز بغداد شرقًا في رحلته، فلم يدخل إقليم خراسان أصلاً، فكيف تصح هذه القصة.

خامسًا: الظاهر أنها أسطورة نسجت مثل أسطورة نسبة ابن تومرت إلى آل البيت، وأنه المهدي المنتظر.

سادسًا: التصريح بأن ابن تومرت درس على الغزالي بالمدرسة النظامية في كتاب سر العالمين وكشف ما في الدارين أو بعنوان السر المكنون، فلا يخفى أن هذا الكتاب منسوب للغزالي وليس من تأليفه. ينظر: سليمان الخراشي، **قصص لا تثبت**، دار الصميعي، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٥، ص ١٢٥-١٤٦.

(٥٣) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص ٧٣. وأورد هذه الحادثة كذلك صاحب **الحلل الموشية**، المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥ نقلا عن ابن صاحب الصلاة عبد الملك، **المن بالإمامة**، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط٣، ١٩٨٧، ولم أجد ذكر الحادثة في "المن بالإمامة" بعد البحث، كما أوردها الونشريسي في **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١٢، ص١٨٥-١٨٦ نقلاً عن ابن القطان.

(٥٤) حسين مؤنس، **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثالث، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ص ١١٣.

(٥٥) محمد المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص ٧٠٦.

(٥٦) نفسه، ص ٧٠٧.

(٥٧) محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين أبو عبد الله القرطبي الأندلسي المالكي قاضي الجماعة، علامة زمانه صاحب العلوم والتصانيف، له إجازة من ابن عبد البر، وأبي العباس بن دلهاث، وروى عنه القاضي عياض وكان يعظمه جدًا، مات لثلاث بقين من المحرم لسنة ثمان وخمسمائة. ابن بشكوال خلف بن عبد الملك، **الصلة**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٠، ج٢، ترجمة رقم ١٢٥٤، ص ٢٠٤.

(٥٨) أشار أنه قرأه عليه تلميذه: عبد الحق بن عطية، **فهرس ابن عطية**، تح: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط٢، ١٩٨٣، ص١١٢.

(٥٩) الذهبي محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ج١٩، ص ٣٣٢.

(٦٠) نفسه.

(٦١) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٦٢) لم أجده في نظم الجمان.

(٦٣) مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٦٤) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي (٤٥١ -٥٢٠ هـ/١٠٥٩ - ١١٢٦م) أبو بكر القرشي الفهري الأندلسي، ويقال له ابن أبى رندقة: أديب، من فقهاء المالكية الحفاظ. من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس. تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦ فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان، وأقام مدة في الشام. ابن بشكوال خلف بن عبد الملك، المصدر السابق، ج٢، ترجمة رقم ١٢٦٩، ص ٢١٠-٢١١.

(٦٥) الذهبي محمد بن أحمد، المصدر السابق، ج١٩، ص ٤٩٥.

(٦٦) الونشريسي أحمد بن يحي، المصدر السابق، ج١٢، ص ١٨٦. الذهبي محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج١٩، ص٤٩٥-٤٩٦.

(٦٧) لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عنان، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج٣، ص ٢٦٧.

(٦٨) الضبي أحمد بن يحي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١، ص ١٧٦.

(٦٩) الطاهر المعموري، **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية، تونس، ١٩٩٠، ص ٣٤. وأحال على البستان لابن مريم ولم أجده فيه.

(٧٠) سبقت ترجمته.

(٧١) ابن العربي أبو بكر القاضي، **العواصم من القواصم**، تح: عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، مصر، د ت، ص ٧٨-٧٩. وفيه أيضًا رد على الغزالي من ص ١٢ إلى ص ٣٨.

(٧٢) ابن العربي أبو بكر القاضي، **قانون...**، المصدر السابق، ص ٥١٠-٥١١.

(٧٣) الذي في الإحياء: "لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل"، الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء ...**، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٥٨.

(٧٤) الذهبي محمد بن أحمد، **سير...**، المصدر السابق، ج١٩، ص ٣٣٧.

(٧٥) ابن العربي أبو بكر القاضي، **قانون...**، المصدر السابق، ص ٦٣٧-٦٣٨.

(٧٦) الذهبي محمد بن أحمد، **سير...**، المصدر السابق، ج١٩، ص ٣٢٧. ابن كثير إسماعيل أبو الفدا الدمشقي، **البداية والنهاية**، تح: عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١٦، ص ٣٦١. وينظر ردود أخرى لابن العربي على شيخه عند: الطاهر المعموري، المرجع السابق، ص ٦٣-٧١.

(٧٧) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون (٤٧٦ - ٥٤٤هـ/١٠٨٣ - ١١٤٩م) اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً، قيل: سمّه يهودي. محمد بن عياض اليحصبي، **التعريف بالقاضي عياض**، تح: محمد بن شريفة، مطبعة فضالة، المغرب، ط٢، ١٩٨٢، ص٢ وما بعدها.

(٧٨) ابن العماد الحنبلي عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٦، ص ٢٢٧.

(٧٩) الذهبي محمد بن أحمد، **سير...**، المصدر السابق، ج١٩، ص ٣٢٧.

(٨٠) محمد بن خلف بن موسى الأنصاري المتكلم سكن قرطبة يكنى أبا عبد الله ويعرف بالإلبيري لأن أصله منها روى عن أبي بكر محمد بن الحسن المرادي وأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي وأخذ علم الكلام عنهما وكان حافظا لكتب الأصول والاعتقادات واقفا على مذهب أبي الحسن الأشعري وأصحابه مع مشاركة في الأدب وله تواليف منها كتاب النكت والأمالي في النقض على الغزالي وله رسالة الانتصار على مذاهب الأئمة الأخيار ورسالة البيان عن حقيقة الإيمان وشرح مشكل ما وقع في الموطأ وكتاب البخاري واختصر كتاب الرعاية للمحاسبي حدث عنه أبو الوليد بن خيرة وأبو إسحاق بن قرقول وأبو عبد الله بن الصيقل المرسي وذكر أن له رواية عن ابن الطلاع وأبو زيد بن نزار الشاطبي أخذ عنه بقرطبة في سنة ست وخمسمائة وغلط في اسم أبيه فجعله يوسف وأبو خالد المرواني وقال أخبرني أنه ولد يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وأربعمائة وتوفي في جمادى الآخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ١، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٨١) لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٦.

(٨٢) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى ابن محمد المختار، الحسني، الجزائري (١٢٢٢ - ١٣٠٠هـ/ ١٨٠٧ - ١٨٨٣م)، ولد في القيطنة من قرى وهران بالغرب الجزائري وتعلم في وهران. أدى فريضة الحج مع والده سنة ١٢٤١هـ ثم زار بغداد ودمشق وعاد إلى الجزائر. وفي السنة ١٨٣٣ بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بثلاثة أعوام، تولى القيام بأمر الجهاد، فنهض وقاتل الفرنسيين وخاض عددا من المعارك ضدهم. استسلم في ٢١ ديسمبر ١٨٤٧ ونفي إلى طولون ومنها إلى انبواز. وقد زاره نابليون الثالث وأفرج عنه مشترطا عدم عودته إلى الجزائر، ورتب له ولأسرته مبلغا من المال يأخذه كل عام. فزار باريس والأستانة. ثم توجه إلى سورية حيث استقر بدمشق سنة ١٢٧١ إلى حين وفاته. ينظر عادل نويهض، **مُعجَمُ أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، ط ٢، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ص ١٠٣-١٠٤.

(٨٣) برهان الدين البقاعي إبراهيم بن عمر، **مصرع التصوف**، تح: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٤-١٥.

(٨٤) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص ٧١.

(٨٥) يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، التلمساني، أبو الفضل، المعروف بابن النحويّ (٤٣٣ - ٥١٣هـ/ ١٠٤١ - ١١١٩م): ناظم "المنفرجة" التي مطلعها: "اشتدي أزمة تنفرجي" كان فقيها يميل إلى الاجتهاد، من أهل تلمسان. أصله من توزر. سكن سلجماسة، وتوفي بقلعة بني حماد (من أعمال قسنطينة) قرب بجاية. وله تصانيف. قلت: والمنفرجة شرحها كثيرون، وخمّسها بعضهم، وفي نسبتها إلى صاحب الترجمة خلاف. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٨، ص ٢٤٧.

(٨٦) ابن الزيات يوسف التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف**، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، المغرب، ط٢، ١٩٩٧، ص ٩١.

(٨٧) محمد المغراوي، **فتوى أبي الفضل بن النحوي حول كتاب إحياء علوم الدين للغزالي**، ضمن كتاب **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٩٩٨، ص ١٢٠.

(٨٨) نفسه، ص ١١٨.

(٨٩) ابن الزيات يوسف التادلي، المصدر السابق، ص ٩١.

(٩٠) نفسه.

(٩١) محمد المغراوي، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٩٢) نفسه، ص ١٢٣-١٢٤.

(٩٣) من أهل مدينة فاس وبها توفي في أواخر شعبان عام تسعة وخمسين وخمسمائة، قدم حضرة مراكش وكان فقيها زاهدًا في الدنيا سالكًا في التصوف سبيل أهل الملامتية. ابن الزيات يوسف التادلي، المصدر السابق، ص١٦٨-١٦٩.

(٩٤) نفسه، ص ١٦٩.

(٩٥) يُنظر القصة بتمامها عند: السبكي عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة إحياء الكتب العربية، مصر، د ت، ج٦، ص٢٥٩-٢٦٠. والمرجح أن هذه القصة مكذوبة لأسباب:

- كيف يشترط الغزالي أن يتوب إلى الله وهو ميت.
- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أُمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، فكيف يكون قد تصفح الكتاب ورقة ورقة. والذي يبدو أن هذه القصة المراد منها تخويف كل من تعرض لكتاب الإحياء بانتقاد أو معارضة.

(٩٦) رجراجي الأصل من أغمات وريكة وبها مات قبل الأربعين وخمسمائة كان شديد الورع والتقشف. ابن الزيات يوسف التادلي، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٩٧) نفسه، ص ١٤٥.

(٩٨) علي بن محمد بن عبد الله الجذامي، كان مقرئًا مجودًا ضابطًا ذاكرًا للقراءات، أصولها وحروفها، فقيهًا حافظًا متفننًا في العلوم، خيرًا صالحًا وتوفي بالمرية سنة تسع وخمسمائة. ينظر ابن الأبار، **التكملة...**، المصدر السابق، ج٣، ترجمة رقم ٤٥٥، ص ١٨٢. ابن عبد الملك محمد المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ط١، ١٩٧٣، السفر الخامس، القسم الأول، ص٣٠٨. ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي**، نشره فرانسيسكو كوديرا وزايدين، مطبعة روخس، إسبانيا، ١٨٨٥، ترجمة رقم ٢٥٣، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٩٩) ابن الأبار، **التكملة...**، المصدر السابق، ص ١٨٢. ابن عبد الملك محمد المراكشي، المصدر السابق، ص٣٠٨.

(١٠٠) ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، **المعجم...**، المصدر السابق، ص ٢٧١-٢٧٢.

(١٠١) أحمد بن الحسين، أبو القاسم ابن قسيّ (٠٠٠ -٥٤٠هـ/ ٠٠٠ - ١١٥١م): أول ثائر في الأندلس عند اختلال دولة الملثمين. وهو روميّ الأصل من بادية شلب، استعرب وتأدب وقال الشعر ثم عكف على الوعظ وكثر مريدوه فادعى (الهداية) وتسمى بالإمام، وطلب فاختبأ، وقبض على طائفة من أصحابه فسيقوا إلى إشبيلية، فأشار من مختبأه على من بقي من أصحابه بمهاجمة قلعة ميرتلة (في غرب الأندلس) فاستولوا عليها وجاءهم ابن قسي. ثم ضعف أمره فخلعوه. وأعيد، فهاجر إلى الموحدين (سنة ٥٤٠ هـ متبرئا مما كان يدعيه، فوثقوا به وولوه (شلب) Silves بلدته، فعاد إلى الخلاف، فقتله أهل شلب. ويظهر أنه هو مصنف كتاب (خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين) مختصر في التصوف، شرحه محيي الدين ابن عربي. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج١، ص ١١٦.

(١٠٢) ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، **الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٥، ج٢، ص١٩٧.

(١٠٣) ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٣١٢-٣١٥.

(١٠٤) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص ٧٤.

(١٠٥) نفسه، ص ٧٠.

(١٠٦) نفسه، ص ٧٠-٧١.

(١٠٧) ابن الأحمر إسماعيل، **بيوتات فاس الكبرى**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، المغرب، ١٩٧٢، ص ٣٤.

(١٠٨) هو مَيْمُون بْن ياسين الصنهاجي اللمتوني، سكن المرية وَأَصله من صحراء الْمغرب يكنى أَبَا عُمَر عني بالرواية وَسَمَاع الْعلم وَكَانَت لَهُ رحْلَة حجّ فِيهَا وَسمع بمَكَّة، كَانَ رجلاً صَالحًا معتنيًا بالآثار مقتنيًا لِلْأُصُولِ وَصَحب أَبَا عبد الله مَالك بن وهيب وَتُوفيِّ بإشبيلية فِي ذِي الْقعدَة سنة ٥٣٠. ينظر ابن الأبار، **التكملة...**، المصدر السابق، ج٢، ترجمة رقم ٥٣٠، ص ١٩١-١٩٧.

(١٠٩) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص ٧٠-٧١.

(١١٠) المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(١١١) مصطفى بنسباع، **السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، مطابع الشويخ، المغرب، ط١، ١٩٩٩، ص ٨١.

(١١٢) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، أبو المعز (٠٠٠ - ٥٣٩ هـ/ ٠٠٠ - ١١٤٥ م): صاحب

المغرب، من ملوك دولة الملثمين. كان شجاعا بطلا. تولى في أيام أبيه غزو الفرنجة بالأندلس (سنة ٥٢٠ هـ فعبر البحر، وافتتح حصونا من طليطلة، وظفر في معركة (فحص الصباب) واحتل مدينة (كركي) و(أشكونية) وعاد إلى مراكش. فخرج أبوه - أمير المسلمين - للقائه في موكب عظيم (سنة ٥٣٢ هـ ولما توفي والده (سنة ٥٣٧ هـ بويع له، بعهد منه. وكان عبد المؤمن بن عليّ قد توغل في المغرب، فقاتله تاشفين. فكانت أيامه كلها حروبًا (ما أوى فيها إلى بلد، ولا عرَّج على أهل ولا ولد) انتهت بمقتله في وهران، وقد باغته الموحدون ليلا وأضرموا النار حول حصنه، فركب يريد النجاة أو الهجوم، فانقلب به جواده فسقط قتيلاً. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٢، ص ٨٢-٨٣.

(١١٣) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ١١٣.

(١١٤) إدريس الشنوفي، **لماذا أحرق المرابطون كتاب "الإحياء"**، ص ٢، www.groups.google.com/forum، نظر فيه بتاريخ ٢١-٠٥-٢٠١٠.

(١١٥) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ج٤، ص ٥٩.

(١١٦) مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(١١٧) المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(١١٨) إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص٣٣-٣٤.

(١١٩) محمد ولد داداه، **مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص ١١٩، نقلا عن إدريس الشنوفي، المرجع السابق، ص ٦-٧.

(١٢٠) محمد القبلي، **رمز "الإحياء" وقضية الحكم في المغرب الوسيط**، ضمن كتاب **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٩.

(١٢١) نفسه، ص ٤٦.

(١٢٢) إبراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١٣٦، نقلا عن إدريس الشنوفي، المرجع السابق، ص٧. محمد القبلي، المرجع السابق، ص ٢٩.

(١٢٣) مصطفى بنسباع، **السلطة...**، المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.

(١٢٤) نفسه، ص ٨٤.

(١٢٥) نفسه، ص ٨٥.

(١٢٦) محمد القبلي، المرجع السابق، ص ٤٦-٤٨. جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود هيكل، منشأة المعارف، مصر، د ت، ٢٨٤-٢٨٥. مصطفى بنسباع، **إحراق كتاب الإحياء** (ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية)، الندوة ٥، المغرب، ١٩٩٣، ص ٣٥٧، نقلاً عن محمد بن بيه، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٠٥.

(١٢٧) إبراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات ...**، المرجع السابق، ص ١٣٢، نقلاً عن فاطمة الزهرة جدو، **السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٨-٢٠٠٩م، ص ١١٠. محمد بن بيه، المرجع نفسه، ص ١٠٦.

(١٢٨) محمد القبلي، المرجع السابق، ص ٤٦.

(١٢٩) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص٢٧٦-٢٨٣، وص٢٨٨-٢٩٢، وص ٢٩٨-٢٩٩.

(١٣٠) محمد المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص ٧٠٦.

(١٣١) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ص ٣٣ - ٧٨.

(١٣٢) محمد بن بيه، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(١٣٣) صلاح الدين كرماني الطوخي وآخرون، **الكشف عن حقيقة كتاب «إحياء علوم الدين» وعلاقته بالتصوف**، دراسة نقدية، د ت، ج١، ص ص ٣-٤. إدريس الشنوفي، المرجع السابق، ص ٩.

(١٣٤) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ١٢٥-١٢٨.

(١٣٥) الونشريسي أحمد بن يحي، المصدر السابق، ج١٢، ص ١٨٥-١٨٦. محمد اليعقوبي البدراوي، **إحراق كتاب الإحياء في الغرب الإسلامي**، المغرب، مجلة المناهل، السنة الرابعة، العدد التاسع، رجب ١٣٩٧هـ/جويلية ١٩٧٧م، ص ٣١٩. محمد بن بيه، المرجع نفسه، ص ١٠٦. عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠، ص ١٦٠. الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، **السلفية وأعلامها في موريتانيا**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ١٩٤-١٩٦. محمد المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص ٧٠٦. أحمد بن عبد الله السلمي، **إتحاف الأحياء بخلاصة الكلام على أبي حامد وكتابه الإحياء**، مكتبة الرشد، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٣٧٦. فاطمة الزهرة جدو، المرجع السابق، ص ١١١. مصطفى بنسباع، **السلطة...**، المرجع السابق، ص ٨٨. حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، لبنان، ط١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٤ ص ٤٣٢.

(١٣٦) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ٦٤-٦٦.

(١٣٧) ابن العربي أبو بكر القاضي، **قانون...**، المصدر السابق، ص ٥٤. الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، المرجع السابق، ص ١٩٥.

(١٣٨) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ٢١٠-٢١١.

(١٣٩) محمد اليعقوبي البدراوي، المرجع السابق، ص ٣٢١.

(١٤٠) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ١٢٩-١٣٩، وص١٦٥-٢٠٩.

(١٤١) نفسه، ص٢١٢- ٢٥١.

(١٤٢) محمد بن العياشي، **محاربة البدع في رسائل المرابطين إحراق كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي نموذجًا**، نشر بتاريخ ٣-١٢-٢٠١٠ www.forums.arabsbook.com نظر فيه بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١١.

(١٤٣) عبد السلام غرميني، **المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٤٢٠. فاطمة الزهرة جدو، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١. عبد الله العروي، المرجع السابق، ص ١٢٨-١٣٦. حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج٤، ص ٤٣٢.

(١٤٤) أحمد حسن محمود، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص ٤٤٦.

(١٤٥) إدريس الشنوفي، المرجع السابق، ص٦.

(١٤٦) محمد القبلي، المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧.

(١٤٧) محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الثالث: **عصر المرابطين والموحدين: القسم الأول**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٧٩. حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ٤٤٦. محمد المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص ٧٠٦.

(١٤٨) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ٨١.

(١٤٩) محمد اليعقوبي البدراوي، المرجع السابق، ص ٣١٩-٣٢٠. محمد بن بيه، المرجع السابق، ص ١٠٥-١٠٦. الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، المرجع السابق، ص ١٩١. محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ١١٣-١٢٣. أحمد بن عبد الله السلمي، المرجع السابق، ص ٣٧٦. إدريس الشنوفي، المرجع السابق، ص٥-٦.

(١٥٠) محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق، ص ٨٣.

(١٥١) نفسه، ص ٨٢.

(١٥٢) الغزالي محمد أبو حامد، **قانون التأويل**، تح: محمد بيجو، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٣٠.

(١٥٣) محمود الحداد، **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٢٨١٧.

(١٥٤) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ١٦٠. محمد اليعقوبي البدراوي، المرجع السابق، ص ٣٢٠.

(١٥٥) عبد القادر العافية، **لماذا أحرق الإحياء**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، العدد ٧، السنة ١٦، رجب ١٣٩٤-أوت ١٩٧٤، ص ١٧٦.

(١٥٦) محمد بن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار الطالبي، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٢٤٩.

(١٥٧) المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(١٥٨) محمد اليعقوبي البدراوي، المرجع السابق، ص ٣١٣.

(١٥٩) أحمد بن حنبل، **المسند**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، حديث رقم ١٥١٥٦، ج٢٣، ص ٣٤٩.

(١٦٠) التنّور: الفرنُ يخبز فيه، ج: تنانير. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، طبع مجمع اللغة العربية، مصر، د ت، ج١، ص ١٠٩.

(١٦١) ابن قيم الجوزية محمد، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تح: نايف الحمد، دار عالم الفوائد، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ، ص ٧١٠.

(١٦٢) البخاري محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، تح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط١، ١٤٠٠هـ، حديث رقم ٤٩٨٧، ج٣، ص ٣٣٨.

(١٦٣) هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن وليد القحطاني المعافري القرطبي الملك المنصور، حاجب الممالك الأندلسية، أبو عامر، القائم بأعباء دولة الخليفة المرواني المؤيد بالله هشام بن الحكم أمير الأندلس، فإن هذا المؤيد استخلف ابن تسع سنين. الذهبي محمد بن أحمد، **سير...**، المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٥.

(١٦٤) نفسه.

(١٦٥) الصوارم الحداد لمحمد الشوكاني، ص ٦٨، نقلاً عن مشهور حسن، **كتب حذر منها العلماء**، دار الصميعي، السعودية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص ٣٨-٣٩.

(١٦٦) محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(١٦٧) ابن عبد البر القرطبي يوسف، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تح: عبد الله بن الصديق وآخرون، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج ١٦، ص ٢٢٩.

(١٦٨) الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، المرجع السابق، ص ٢١٦.

(١٦٩) كضريبة الأسواق التي لجأ إليها بعض عمال علي بن يوسف بالأندلس، والمسماة "قبالة" والتي نبه عليها القاضي عياض. يُنظر: محمد بن عياض اليحصبي، المصدر السابق، ص ١١٥.

(١٧٠) جورج مارسيه، المرجع السابق، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(١٧١) محمد القبلي، المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧.

(١٧٢) البخاري محمد بن إسماعيل، المصدر السابق، حديث رقم ٢٢٦٣، ج٢، ص ١٣٠-١٣١.

(١٧٣) ترك الغزالي كتابًا يُعَدّ اعترافًا هو "المنقذ من الضلال"، أودع بين طياته وصفًا مسهبًا لحالته النفسية والمعاناة التي كابدها مما هاله من حال عصره وكثرة المتناقضات فيه، وكذلك مرضه الذي عجز الأطباء عن مداواته المسمى بمرض الكنظ أو الغنظ وهو عبارة عن همّ لازم يصيب أصحاب الاتجاه الديني المتطرف. عمر فروخ، **رجوع الغزالي إلى اليقين**، ضمن كتاب **مهرجان الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده بدمشق**، رقم ١٣، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٣١١.

(١٧٤) مرّ الغزالي بمراحل عديدة بحثا عن الحق، وتغيّر في كل مرحلة فيها رأيُه، وفكره العقدي. قال في ذلك عن نفسه: "... انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: المتكلمون... الباطنية ... الفلاسفة... الصوفية ... فقلت في نفسي: الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذّ الحق عنهم، فلا يبقى في درك الحق مطمع...فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق، مبتدئًا بعلم الكلام، ومثنيًا بطريق الفلسفة، ومثلثًا بتعلم الباطنية، ومربعًا بطريق الصوفية". الغزالي محمد أبو حامد، **المنقذ...**، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠.

(١٧٥) الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء...**، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٦.
(١٧٦) محمد اليعقوبي البدراوي، المرجع السابق، ص ٣١٨.
(١٧٧) عمر فروخ، المرجع السابق، ص ٣٠٠-٣٠١.
(١٧٨) زكي مبارك، **الأخلاق عند الغزالي**، كلمات عربية للنشر، القاهرة، د ت، ص ٢٨.
(١٧٩) عمر فروخ، المرجع السابق، ص ٣٠١.
(١٨٠) الغزالي محمد أبو حامد، **إحياء ...**، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٥٦. ينظر في بيان المخالفات: محمد المغراوي، **العقيدة...**، المرجع السابق. صلاح الدين كرماني الطوخي وآخرون، المرجع السابق. أحمد بن عبد الله السلمي، المرجع السابق.
(١٨١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، **القول المبين في التحذير من كتاب إحياء علوم الدين**، تح: عبد العزيز آل حمد، دار المنار، السعودية، ط١، ١٤١٤، ص ٤٤ وما بعدها.
(١٨٢) ابن العربي أبو بكر القاضي، **العواصم ...**، المصدر السابق، ص ٧٩.
(١٨٣) عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، المرجع السابق، ص ٤٤-٦٩.
(١٨٤) يُنظر عقيدته ومذهبه عند: عبد الهادي محبوبة، **نظام الملك**، دار المصرية اللبنانية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص١٣٨-١٤١.
(١٨٥) ابن كثير إسماعيل أبو الفدا الدمشقي، المصدر السابق، ج١٦، ص ٢١٥.
(١٨٦) ابن أبي زرع الفاسي علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٣٦.
(١٨٧) المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٢٣٥.
(١٨٨) مجهول، **مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، المغرب، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٧١.
(١٨٩) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج٤، ص٧٩.
(١٩٠) ابن القطان المراكشي حسن بن علي، المصدر السابق، ص٧٠-٧١.
(١٩١) محمد بن عياض اليحصبي، المصدر السابق، ١٠٦-١٠٧.
(١٩٢) هو يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن (..- ٦٢٧ هـ/..- ١٢٣٠ م) التادلي، أبو الحجاج، المعروف بابن الزيات: لغوي أديب، من قضاة المالكية. من أهل " تادلة " بالمغرب، بين تلمسان وفاس. له كتب، منها" التشوف إلى رجال التصوف" و "نهاية المقامات في دراية المقامات" وهو شرح للمقامات الحريرية، و "مناقب الشيخ أحمد السبتي دفين مراكش". التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٨٩م، ص ٦٢٦-٦٢٧. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج٨، ص ٢٥٧.
(١٩٣) محمد بن عياض اليحصبي، المصدر السابق، ص ١٠٦.
(١٩٤) عبد القادر سعدي، **أثر كتاب الإحياء للإمام الغزالي في مجتمع الغرب الإسلامي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص تاريخ وحضارة، جامعة الجزائر (١)، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، السنة الجامعية ١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١، مقدمة الباحث، ص أ.
(١٩٥) عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص١٧٦.
(١٩٦) الغزالي محمد أبو حامد، **الإملاء في إشكالات الإحياء أو الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المشكلة المبكتة**، مطبوع آخر الإحياء، دار الشعب، مصر، د ت، مج٤، ج١٦، ص ٣٠٢٦ وما بعدها.